الوجهة السلفية عند الأمير الصنعاني

تأليف

الدكتور إبراهيم هلال

الأستاذ المساعد للدراسات الإسلامية

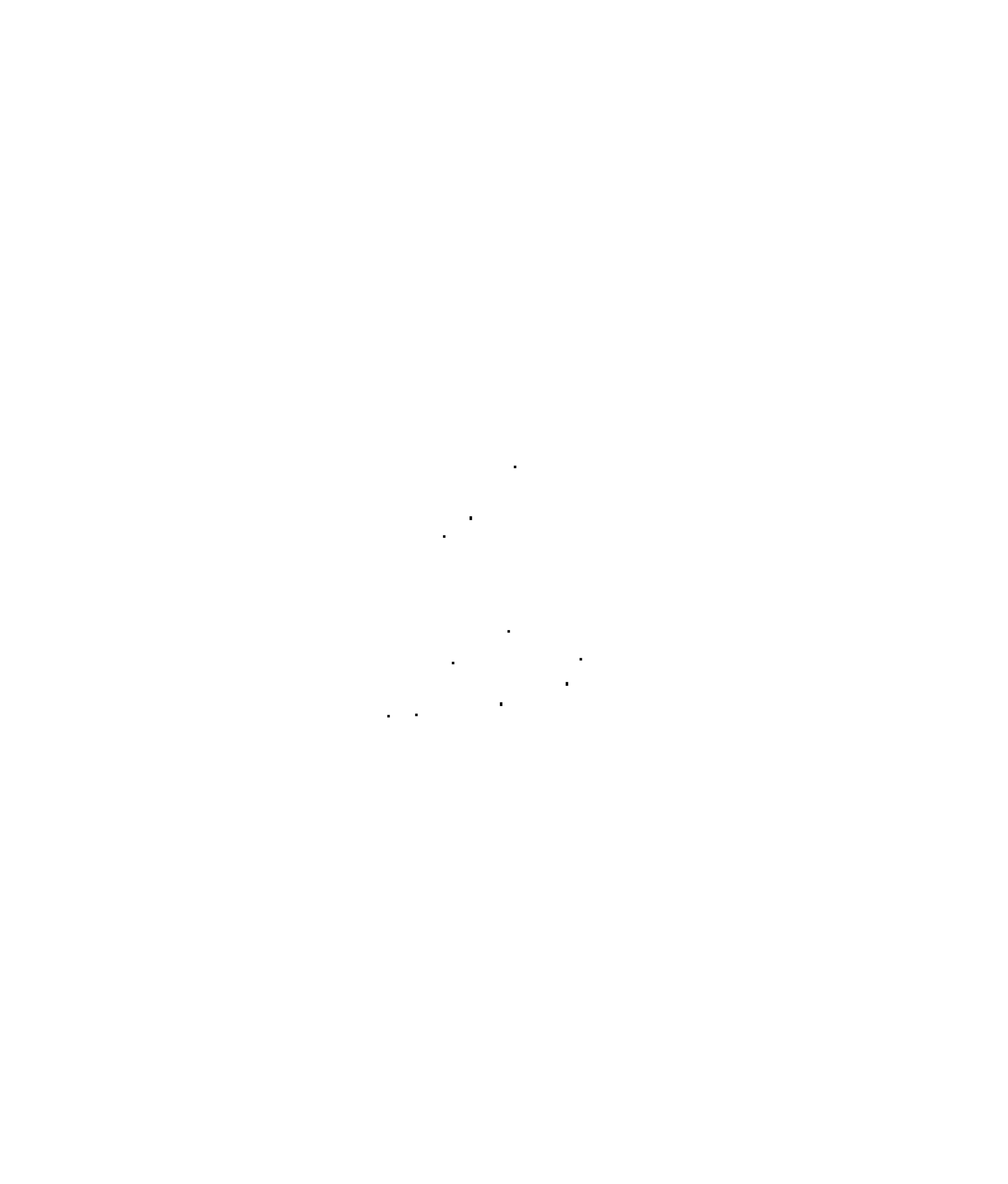
كلية البنات - جامعة عين شمس

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

الناشر

دار النهضة العربية

٣٢ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة



الوجهة السلفية عند الأمير الصنعاني

تأليف
الدكتور إبراهيم هلال
الأستاذ المساعد للدراسات الإسلامية
كلية البنات - جامعة عين شمس

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

الناشر
دار النهضة العربية
٣٢ ش عبد الخالق ثروت . القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

هناك ظاهرة مطردة ، وهى أن أهل الحديث (أى الذين تبحروا فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتصل به من علوم تحديثية) — إلى جانب تعمقهم فى دراسة القرآن الكريم وعلومه . هذه الظاهرة ، هى أنهم دائماً يتقابلون فى اتجاهاتهم ولا يتعارضون ، وإن لم يلتقوا . أو يأخذ بعضهم عن بعض .

وقد وضحت لى هذه الظاهرة من قبل[1] فى ثلاثة من أعلام السلف رضى الله عنهم وهم : الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ والإمام محمد بن عبد الوهاب المصلح العظيم المعاصر (١١١٥ هـ — ١٢٠٦) والإمام محمد بن على الشوكانى الصنعانى (١١٧٣ — ١٢٥٠) هـ .

واليوم أضيف إليهم رابعاً هو الإمام محمد بن اسماعيل الأمير : (١٠٩٩ هـ — ١١٨٢ هـ) .

فقد رأيته مثلا من أمثلة هذه الظاهرة . فقد درس فى اليمن وفى مكة المكرمة على طريقة أهل الحديث ، وتأصل فى علم الحديث ، وألم به إلمام الشوامخ وألف فيه وكتب الكتب التى تعتبر أمهات فى بابها . وكان أن قادته هذه الدراسة الحديثية إلى تعظيم مبدأ الاجتهاد والأخذ به ، وإلى اتباع

---

(١) أنظر تقديمى لكتاب قطر الولى على حديث الولى للإمام الشوكانى. طبعة دار الكتب الأثرية .

طريقة السلف فيما يتصل بالعقيدة والنبوات وصفات البارى سبحانه ، ثم إلى مناهضة غلو الصوفية ، وما قالوا به فى الولاية والأولياء ونسبة إليهم ما لا ينسب إلا لله سبحانه . وكذلك ما ادعوه من الباطل والمحال بالنسبة للكرامات ، وما أقاموه من الأضرحة والمقاصير ، وطوافهم حولها ، ودعائهم عندها . وقاوم هذا بكل شدة وبين باطل كل ذلك بأقوى حجة وأبلغ برهان .

وقد كان هذا من قبله بالنسبة لابن تيمية . ثم من بعده لابن عبدالوهاب والشوكانى .

وقد يقال إن الإمام الشوكانى يمنى صنعانى مثله فأخذ عنه أخذاً وقرأ كتبه مباشرة ، وعاش فى الجو الذى عاش فيه وأخـــذ عن تلاميذه المباشرين .

إلا أننا بالنسبة لابن عبد الوهاب لم يتأكد لنا بعد ان ابن عبدالوهاب قد أخذ عن ابن الأمير ، وإن كانا متعاصرين ومتقاربين فى المكان . لأن ظهور محمد بن عبد الوهاب ، كان مفاجأة لابن الأمير ، والعلاقة التى حدثت بينهما بعد ظهور بن عبد الوهاب لم تعط أن ابن عبد الوهاب تتلمذ على ابن الأمير ، أو جرت بينهما صلة ودية على ما يجرى بين التلميذ وأستاذه وإن كانا قد اتحدا فى المبدأ والنتيجة كما أسلفنا .

فكما تقدم كان ظهور ابن عبد الوهاب فى نجد مفاجأة لابن الامير ومفاجأة سارة ، وهو ما يحكيه ابن الأمير نفسه قال : « لما طارت الأخبار بظهور عالم فى نجد يقال له محمد بن عبد الوهاب ، ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره فى التقوى وفى الأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر ، اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنه ١١٦٣ ﻫ (هى القصيدة المعروفة بالنجدية) – وأرسلناها عن طريق مكة المشرفة ، وهى :

سلام على نجد ومن حل فى نجد
وإن كان تسليمى على البعد لا يجدى
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا
رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرنى مسراك نجدا وأهله
لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
قفى واسألى عن عالم حل سوحها
به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادى لسنة أحمد
فياحبذا الهادى وياحبذا المهدى

وهى قصيدة طويلة تقرب من ثمانين بيتاً يشيد فيها بابن عبد الوهاب وبما دعا إليه(١) . وهى باستفتاحها هذا تدل على أن ابن الأمير لم يكن يعرف ابن عبد الوهاب من قبل كما جاء فى أبياتها ما يصرح بهذا ، ويبين سرور ابن الأمير بابن عبد الوهاب وبظهوره ، لأنه كان يظن أنه ليس على الأرض فى ذلك الوقت أحد غيره ينادى بمثل ما نادى به ويدعو إليه

---

(١) أنظر : ديوان ابن الأمير . الطبعة الأولى طبعة المدنى بالقاهرة ص ١٢٨ وما بعدها .

وأن دعوته إلى تطهير الاعتقاد ، وإخلاص التوحيد لله سبحانه التى بدأها فى اليمن وبثها فى الآفاق الإسلامية الأخرى . ليس هناك من يعتقدها ويتحمس لها وينادى بها غيره ، وهذا هو قوله :

لقد سرنى ما جاءنى من طريقه
وكنت أرى هذى الطريقة لى وحدى(١)

فكما نرى فى هذا البيت أن ظهور ابن عبد الوهاب ، كان مفاجأة لابن الأمير ، وخاصة إذا نظرنا إلى أن ابن الأمير متقدم عن ابن عبدالوهاب فى السن فكان بمنزلة أستاذه ، ومع ذلك نراه يشير فى هذا البيت إلى أنه لم يعلم به من قبل .

فإذا جاء ابن عبد الوهاب بما قاله ابن الأمير من قبله ونادى به فهذا دلالة على صدق القاعدة واطرادها ، وهى أن التمسك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما فى كل أمر دائماً يقود إلى نتيجة واحدة ، وأن أهل الحديث دائماً يتقابلون ولا يتعارضون مهما نأت بهم الديار ، ولم ير بعضهم بعضا ، أو لم يأخذ أحدهم عن الآخر . وهذا يحقق قوله صلى الله عليه وسلم : « لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة رسوله ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد » . وهذا طبيعى فما دام المبدأ سليما وصحيحا فلا بد وأن يقود إلى نتيجة سليمة وصحيحة والمجتمعون حول هذا المبدأ والآخذون به لا بد وأن يصلوا فى النهاية إلى غاية واحدة ونتيجة واحدة ، وهذه هى ثمرة الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله أو اتباع صراط الله الذى قال فيه : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق

---

(١) أنظر الديوان ص ١٣٠ .

بكم عن سبيله » ، وترك الرأى وعدم الركون إليه، وهى طريقة المجتهدين المنصفين ، الذين يبذلون الوسع فى استقصاء الأدلة من كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم .

فهذا إيضاح للوجهة السلفية فى أصولها ومنهجها عموما ، وإيماء للوجهة السلفية عند ابن الأمير . والكتاب بعد ، بيان وجيز متواضع لهذه الوجهة وأبعادها عند ابن الأمير .

د إبراهيم إبراهيم هلال

١٥ من جمادى الاولى سنة ١٤٠٤ هـ

١٧ من فبراير سنة ١٩٨٤ م

الفصل الاول

(حياة ابن الأمير التعليمية والمؤثرات الأولى)

فى فكره

هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن على بن حفظ الدين الأمير ويصل نسبه إلى الأمير يحي بن حمزة الحسني[1]، وينتهى إلى الإمام على رضى الله عنه[2].

ولد بمدينة كحلان وهي على مسيرة ثلاثة أيام فى الشمال الغربى من صنعاء ، سنة ١٠٩٩ هـ .

ثم انتقل مع والده إلى صنعاء رغبة من والده فى أن يستزيد شخصياً من العلم والمعرفة وأن تتصل أسبابه بأسباب هؤلاء العلماء الأعلام الذين سارت بذكرهم الركبان فى طول البلاد وعرضها[3]، وكانت صنعاء إذ ذاك عاصمة علم لا حكم[4]، وكان انتقاله مع والده إلى صنعاء سنة ١١٠٧ هـ .

---

(١) هو الإمام يحي بن حمزة بن على بن إبراهيم ... ولد بصنعاء سنة ٦٦٩ هـ من الأئمة الأمراء العلماء ، بلغت مصنفاته مائة مجلد منها (الانتصار) فى ثمانية عشر مجلدا ، (العمدة) فى ستة مجلدات . انظر : تاريخ اليمن للواسعى ص ٣٥ - ٣٧ .

(٢) ابن الأمير وعصره . لقاسم غالب وآخرين ص ١١٥ الزيدية للدكتور أحمد صبحى ص ٦٢٦ الطبعة الأولى .

(٣) ابن الأمير وعصره ص ١١٧ ، الزيدية ، مجلة الإكليل العدد الثانى السنة الأولى ص ١٤٥ وزارة الإعلام بصنعاء .

(٤) ابن الأمير وعصره ص ١١٨ ، الزيدية للدكتور أحمد صبحى .

حفظ القرآن الكريم فى صغره،وأخذ عن أبيه بدءاً علوم الفقه والنحو والبيان وأصول الدين .

ثم بدأ يتتلمذ على كبار العلماء فى عصره من أمثال زيد بن محمد بن الحسن وعلى بن محمد العنسى،وصلاح بن الحسين الأخفش وعبدالله بن على الوزير.

« وتعلم الحديث على يدى عالم زبيد عبد الخالق بن الزبير المزجاجى » .

كما قرأ مع والده مؤلفات الإمام الحسن بن أحمد الجلال . وهو يقول فى ذلك : « لما تم لى أنا ووالدى العلامة التقى ضياء الدين اسماعيل بن صلاح الأمير - رحمه الله - مطالعة كثير من مؤلفات العلامة الحسن بن أحمد الجلال - رضى الله عنه - عجبنا من ذهنه الوقاد ، وتنبهه لقواعد الاجتهاد »[1] .

كما سافر إلى الحجاز أربع مرات من أجل تلقى العلم إلى جانب أداء فريضة الحج . فدرس فى أثناء ذلك علوم الحديث والقراءات والفقه والمنطق على علماء مختلفين فى المسجد النبوى ، وفى الحرم المكى[٢] .

ويشير الإمام الشوكانى إلى تشبعه من علم الحديث وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فى أثناء حديثه عن قيام العامة عليه وثورة الغوغاء ضده : « ورمته العامة بالنصب لكونه عاكفاً على الأمهات وسائر كتب الحديث عاملا بما فيها »[٢].

---

(١) ابن الأمير وعصره ... نقلا عن ديوان ابن الأمير ، وانظر : الدكتور أحمد صبحى المصدر المتقدم .

(٢) البدر الطالع ص ١٣٣ ، ص ١٣٤ . جـ ٢ . والنصب هو بغض أمير المؤمنين على بن أبى طالب هو وأولاده (آل البيت) .

وكما يقول الأستاذ الدكتور أحمد صبحى : فقد أهله هذا التكوين العلمى المتعدد الجوانب والمؤسس على الكتاب والسنة إلى أن يكون واسع الأفق ، ذا نظرة مفتوحة جعلته لا يتعصب للمذهب الزيدى ، وينفتح على كتب الحديث[1] والاتجاهات الأخرى ويذهب إلى الوجهة الاجتهادية التى لا تتقيد بآراء الرجال ، بل بكتاب الله وسنة الرسول (ص) .

ومن أجل هذا فقد وضعه الدكتور (صبحى) فى قائمة الاتجاه الزيدى المتفتح على أهل السنة[2] ، خاصة وأن ابن الأمير قد قاس أعماله وأعمال غيره بالكتاب والسنة ، فكان يحاكم المخطىء إلى الكتاب والسنة ، ويبين له خطأه بناء على ذلك .

وقد اجتمع له من العلم والورع ما يحكيه الإمام الشوكانى فى تلك الرؤيا التى رآه فيها فى النوم فيقول الإمام الشوكانى : « وبالجملة فهو من الأئمة المجددين لمعالم الدين ، وقد رأيته فى المنام سنة ١٢٠٦ هـ وهو يمشى راجلا وأنا راكب فى جماعة معى ، فلما رأيته نزلت ، وسلمت عليه ، فدار بينى وبينه كلام ، حفظت منه أنه قال : دقق الإسناد ، وتأنق فى تفسير كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فخطر ببالى عند ذلك أنه يشير إلى ما أصنعه فى قراءة البخارى فى الجامع ، وكان يحضر تلك القراءة جماعة من العلماء ، ويجتمع من العوام عالم لا يحصون ، فكنت فى بعض الأوقات أفسر الألفاظ الحديثية بما يفهم أولئك العوام الحاضرون ، فأردت أن

---

(١) انظر : عبد الله حبشى : مجلة الإكليل ص ١٤٥ .

(٢) الزيدية ص ٦٢٧ ، وإن كنت أرى أنه اجتهد اجتهادا مطلقا غير متقيد بمذهب كما سيأتى .

أقول له : إنه يحضر جماعة لا يفهمون بعض الألفاظ العربية ، فبادر وقال قبل أن أتكلم : قد علمت أنه يقرأ عليك جماعة وفيهم عامة ، ولكن دقق الإسناد ، وتأنق فى تفسير كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم سألته عند ذلك عن أهل الحديث ما حالهم فى الآخرة؟ فقال : بلغوا بحديثهم الجنة ، أو بلغوا بحديثهم بين يدى الرحمن — الشك منى — ثم بكى بكاء عالياً ، وضمنى إليه ، وفارقنى . فقصصت ذلك على بعض من له يد فى التعبير وسألته عن تأويل البكاء والضم ، فقال لابد أن يجرى لك شىء مما جرى له من الامتحان . فوقع من ذلك بعد تلك الرؤيا عجائب وغرائب كفى الله شرها »(١) .

وكان قد جرى لابن الأمير محن وخطوب جرها عليه العامة وأنصاف الفقهاء ممن لا يعقلون ، ولا يدركون من الدين والعلم ، إلا القشور ، ولا يدركون أن الإجتهاد هو روح العلم ، وشعار الدين والبحث عن الحق . فعموا عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد القاضى فأخطأ فله أجر ، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران »(٢) .

الجو الفكرى الذى صادف نشأة ابن الأمير :

لعله وقد تقدمت لنا عبارة الإمام الشوكانى فى ابن الأمير : (ورمته العامة بالنصب لكونه عاكفاً على الأمهات وسائر كتب الحديث الخ . .) ـ أننا

---

(١) البدر الطالع جـ ٢ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى البدر الطالع ص١٣٣ ـ ص ١٣٧ ، ويقول الإمام الشوكانى عن هؤلاء : « . . . ولا يعرفون من الدين إلا رسوما بل يخالفون ما هو من القطعيات كقطع ميراث النساء والتحاكم إلى الطاغوت » ص ١٣٦ .

بدأنا نحس بالجو الفكرى الذى صادف حياة ابن الأمير ، فقد كان جواً فكريا عفنا ، إذ أن مجرد رميهم لرجل مثل محمد بن اسماعيل الأمير بالنصب — وهو من آل البيت - فيه افتراء ، وتجن ومكابرة ، فكيف لرجل يزرى بأصله ، و يبغض جدوده ومن ينتمى إليهم وخاصة إذا كانوا من أهل البيت ؟ ! . وقد ظهرت هـــذه المكابرة كأقوى ما تكون على لسان أحد الأئمة المتأخرين الذين أظهر لهم ابن الأمير خروجهم على الكتاب والسنة وهو محمد بن يحيي حميد الدين حين قال : « محمد بن اسماعيل الأمير ليس منا أهل البيت »[1] . مع أن ابن الأمير كان قد توفى ، ولكن رأى فى كلامه كشفاً لباطله وباطل كثير من الأئمة من قبله وقد دعا ذلك التجنى على الحق وعلى الحقيقة الإمام الشوكانى فى تعليقه على ثورة العامة ضد العلماء أن يقول : « ... وليس الذنب ذنبهم إنما هم أتباع كل ناعق ممن له هيئة أهل العلم »[2] .

وقد لاقى ابن الأمير ممن لهم هيئة أهل العلم وليسوا بعلماء الكثير حين كان يكشف للناس الحق ويبينه لهم .

يلخص ذلك الإمام الشوكانى فى حديثه عن ابن الأمير بهذا الصدد ، وأنه من سلسلة هؤلاء الذين اضطهدوا حين قاموا بالحق يبينونه للناس ثم كانت العاقبة لهؤلاء المصلحـــين المضطهدين نظراً لما هم عليه من الحق : « ... ثم كان فى العصر الذى قبل عصرنا هذا السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير . وله فى القيام بحجة الله ، والإرشاد إليها ، وتنفير الناس عن العمل

---

(١) ابن الأمير وعصره ص ١٣ .

(٢) البدر الطالع جـ ٢ ص ١٣٥ .

بالرأى وترغيبهم إلى علم الرواية ما هومشهور معروف ، فعاداه أهل عصره وسعوا به إلى الملوك ، ولم يتركوا فى السعى عليه بما يضره جهداً ، وطالت بينه وبينهم المصاولة والمقاولة ولم يظفروا منه بطائل ، ولا نقصوه من جاه ولا مال ، ورفعه الله عليهم ، وجعل كلمته العليا ، ونشر له من المصنفات المطولة والمختصرة ما هو معلوم عند أهل هذه الديار . ولم ينتشر لمعاصريه المؤذين له المبالغين فى ضرره بحث من المباحث العلمية فضلا عن رسالة ، فضلا عن مؤلف بسيط »[1] .

وقد خلق هذا الجو التعصب الأعمى للمذهب الزيدى، يقود ذلك التعصب ويثبته ، ويحوله إلى وجهة إرهابية ، الأئمة الذين توالوا على اليمن من بعد الإمام الهادى يحى بن الحسين[2] ، إلى عصر ابن الأمير .

فمنذ عهد الإمام الهادى ، والمذهب الهادوى قد فرض سلطانه على الاتجاه الزيدى الأصيل عن طريق مقلدى الإمام الهادى ، وأخذ يحيد عنه رغم أن الإمام الهادى نهى عن تقليده ، إلا أن هؤلاء المقلدة كما قال الإمام الشوكانى : « قلدوه شاء أم أبى ، وقالوا : قد قلدناه، وإن كان لا يجوز ذلك

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأدب . الطبعة الأولى . تحقيق : عبد الله حبشى . سنة ١٩٧٩ م ، وانظر : البدر الطالع جـ ٢ ص ١٣٣ – ص ١٣٧ .

(٢) ينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : ولد عام ٢٠٥ هـ بالمدينة المنورة وخرج إلى اليمن سنة ٢٨٠ هـ وملك ما بين صنعاء وصعدة ثمانية عشر عاما وجاهد طاغى القرامطة على بن الفضل ، وكان من أولى العلم وإليه ينسب الهدوية أصحاب الفقـــه الهادوى باليمن . توفى سنة ٢٩٨ هـ : انظر تاريخ اليمن الواسعى .

ولكن عملا بما قاله بعض المتأخرين أنه يجوز تقليد الإمام الهادى ، وإن منع من التقليد »[١] .

وهكذا كان المقلدون فى اليمن مخالفين لوجهة الإمام الذى قلدوه ، ولوجهة الإمام زيد نفسه ، لأن الأمر كما هو معروف أن الإمام زيداً رجل سنة وحديث واجتهاد وفكر مفتوح .

والإمام الشوكانى يسجل لنا هذه الحقيقة فى قوله : (ولو كشفوا عن الحقيقة لوجدوا ذلك المنكر (للاجتهاد) هو المخالف لمذهب الأئمة من أهل البيت بل الخارج عن إجماعهم لأنهم جميعا حرموا التقليد على من بلغ رتبة الاجتهاد، وأوجبوا عليه أن يجتهد رأى نفسه، ولم يخصوا ذلك بمسألة دون مسألة »[٢] .

ولكن ارتباط هذا المذهب الهادوى بالحكم وبالسياسة ، واعتناق الأئمة له، هو الذى أرسى ذلك التقليد، وثبت ذلك التحول عن تعاليم الكتاب والسنة ، وخروجا فى الوقت نفسه على آراء الامام زيد واتجاهه الاجتهادى بل والنسبة إليه ما ليس منه وما لا يقبله كاتجاه قام على الكتاب والسنة فقد كان أهل هذا المذهب الهادوى عندما تتاح لهم فرصة التسلط على الحكم يدعمون الصله بين المذهب وبين سلطان الأسر الحاكمة . وفى الوقت نفسه يوجهون سلطان الحكم للقضاء على كل مخالف فى الرأى ، وبكل وسائل السلطان ، ، حتى ضاق الناس بتلك الأسرة التى احتكرت الحكم ، وضاق

(١) القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ص ٢٥ ، ٢٦ طبعة الحلبى .

(٢) البدر الطالع جـ ٢ ص ١٣٥ .

العلماء بهذه الآراء التي حملت على زيد بن علي حملا لا سند له ولا دليل عليه »(١) .

وكانت نتيجة هذا التعصب الجاهل أن تحول الدين في نفوس أهله إلى جهالات وضلالات ، وأطبق التقليد عليهم ، فصار رأي الامام أو العالم هو المقدم على كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما يقول كتاب (ابن الأمير وعصره) : « والطامة الكبرى ، هي تلك الحجج التي كان يجادل بها علماء السنة من القرآن الكريم والحديث الشريف - وهي ما يلتزم بها الامام زيد بن علي -- وإذا ببعض المتعصبين يقولون لا نلتزم بها بل نلتزم بالمذهب »(٢) .

وشاعت البدع والخرافات وأمور الشعوذة ، وتحولت نظرة الناس إلى الكرامات والولاية والأولياء والأئمة – عن مفهومها السني إلى مفهوم أجنبي عن الاسلام ، هو إلى الوثنية والغنوصية أقرب وألصق ، وذلك لما يشتمل عليه من أمور الشعوذة والغلو والتضليل ، وإضفاء صفة الخوارق والمعجزات بطريقة قد تؤله من ينسب إليه ذلك ، وتعطى له ما اختص الله سبحانه وتعالى به ولم يعطه لأحـــد من خلقه ولو كانوا رسلا أو أنبياء(٣) .

ويصور لنا ابن الأمير ذلك في إحدى رسائله فيقول : « وبعد، فهذا :

---

(١) ابن الأمير وعصره ص ١٣٧ وما قبلها وما بعدها ، ص ٩ - ١٣ .
(٢) ابن الأمير وعصره ص ١٤٥ .
(٣) ابن الأمير وعصره ص ١٣٦ ١٤٥ ، الدكتور صبحي ص ٦٢٨ — ٦٣٢ .

(تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) وجب على تأليفه، وتعين على ترصيفه لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الأنداد فى الأمصـــار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة ، وجميع ديار الإسلام ، وهو الاعتقاد فى القبور وفى الأحياء ممن يدعى العلم بالمغيبات والمكاشفات[١].

أمام هذا ووجهة ابن الأمير زيدية أصيلة أى قائمة على الكتاب والسنة لم يجد أمامه فى هذه التيارات المتضاربة والتعصب للمذهب، إلا تقليداً وجهلا مطبقاً ، وانحرافات فكرية ودينية ، يلخصها الأستاذ الدكتور أحمد صبحى من وجهة نظر ابن الأمير فى الأسئلة التالية :

١ — هل تصح مخالطة الملوك الظلمة ؟

٢ — ما المقصود بالنهى عن فراق الجماعة ؟ وبخاصة أن المذهب الزيدى يتبنى مبدأ الخروج ؟

٣ — وهل إلزام الدولة مواطنيها بالمذهب . وبصياغة محددة له يسد باب الاجتهاد[٢] ؟

وأضيف أنا إلى ذلك :

٤ - هل للمسلمين دين يرجعون إليه غير الكتاب والسنة ؟

كان لهذا الجو الفكرى الفاسد ، والمشبع بتلك العقائد الباطلة أمام تربية ابن الأمير الدينية ، وآرائه الفكرية القائمة على الكتاب والسنة أثر فى اتجاهه إلى مقاومة هذا الجمود ، والتحلل الدينى والعقائدى .

---

(١) رسالة (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) مطبعة السنـــة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٧٤ م . ص ٧ ، ٨ .

(٢) المصدر المتقدم : ص ٦٣٣ .

واتخذ هذا الجهاد منه عدة مواقف وقفها كلها فى وجه الانحراف والجمود والزيغ فى جميع أشكاله .

وتكاد تتجمع هذه المواقف فى ثلاثة خطوط رئيسية هى :

١ — الدعوة إلى الاجتهاد .

٢ — بيان إخلاص التوحيد لله ومقاومة ما يشوه هذا الإخلاص من الاعتقادات أو الأعمال .

٣ — عدم التعويل على علم الكلام فى تثبيت العقيدة .

ومن خلال آراء ابن الأمير فى هذه الخطوط الرئيسية التى تصور فكره يتبين لنا مدى سلفيته وأنه معلم من معالم السلفية فى الاتجاه الزيدى الأصيل.

الفصل الثاني

(مدخل إلى الوجهة السلفية)

قبل أن نتعرف على الوجهة السلفية عند ابن الأمير في أبعادها الثلاثة المتقدمة يحسن بنا أن نتعرف على الوجهة السلفية في ذاتها ، وكما تكلم بها أنصارها والمؤسسون لها من أهل السنة .

يقول الإمام أبو اسماعيل الصابونى (المتوفى سنة ٤٤٩ هـ) : « أصحاب الحديث حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت الأخبار الصحاح به ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه فى كتابه .

وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه .

فيقولون : إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه فى قوله عز من قائل : (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى)[1] ؟ .

ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين ولا يكيفونهما بكيف ، أو تشبيههما بأيدى المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله . وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ، ومن عليهم

---

(١) سورة (ص) : ٧٥ .

بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1]) .

وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة ، والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه ، ولا إضافة إليه ، ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ، ويجرونه على الظاهر ، ويكلون علمه إلى الله تعالى ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى : (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)[2] .

ويقول الإمام الشوكاني مبيناً أن هذا هو منهج الصحابة رضي الله عنهم : « ... لذلك كان المسلك القويم في الإلهيات والإيمان بما جاء فيها هو مسلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين من حمل صفات الباري على ظاهرها ، وفهم الآيات والأحاديث على ما يوجبه المعنى اللغوي العام وعدم الخوض

---

(١) الآية الكريمة : ١١ سورة الشورى . والنص من رسالة (عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية جـ ١ ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ .

(٢) نفس المصدر ص ١٠٧ ، والآية : سورة آل عمران رقم : ٧ .

فى تأويلها ، والإيمان بها على ذلك دون تكلف ولا تعسف ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، وإثبات ما أثبته الله لنفسه من صفاته على وجه لا يعلمه إلا هو ، فإنه القائل : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فأثبت لنفسه صفة السمع والبصر مع نفى المماثلة للحوادث فى الوقت نفسه »[١] .

ويرى الإمام الشوكانى أن هذا أمر طبيعى « لأن القرآن عربى وخاطب قوما عربا على الفطرة ، فلم يكن هناك من داع لأن يتطرق معهم إلى ما وراء اللغة من عقليات مخترعة ، بل الواجب فهمه فى ضوء ما جاءت به اللغة ، وما بينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من شرح وإيضاح »[٢].

كما يرى الإمام الشوكانى أن أصول مذهب السلف تكمن فى هاتين الآيتين : « ليس كمثله شيء وهو السميعُ البصير » ، وقوله تعالى : « ولا يحيطون به علما » ، « ففيهما الإثبات والنفى : إثبات صفات البارى ونفى مماثلة هذه الصفات للحوادث ، ثم تقييد هذا الإثبات بظاهر ما صرحت به الآيات وأجملته ، والزجر عن الخوض فى كيفية هذه الصفات ، فإن الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علما ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا ، فلا شك أن صحة ذلك متوقفة على الإحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد ، : « ولا يحيطون به علما »[٣].

ويقول أحد علماء السلف المعاصرين[٤] : « قد أجمع أهل السنة والجماعة

---

(١) التحف فى مذاهب السلف ص ٥٣ الطبعة الأولى .

(٢) فتح القدير فى علم التفسير ج ١ ص ٥١٤ . الطبعة الأولى .

(٣) التحف ، وفتح القدير نفس الصفحات .

(٤) الشيخ عبد الرحمن بن حسن : انظر مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب ص ٣٩ .

قديما وحديثا على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو جهمي ضال مضل يقول على الله بغير علم »(١) .

ثم يقول : « فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرف به إليهم من صفات كماله اللائقة بجلال الله ، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ؛ إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل ، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته ، وما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه فعبدوا رباً أحداً صمداً إلها واحداً . . . ونزهوه عما تنزه عنه وعن كل ما فيه عيب ونقص وعن كل ما وصفته الجهمية وأهل البدع مما لا يليق بجلاله وعظمته ، فعطلوه من صفات الكمال ، وصاروا إنما يعبدون عدما لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال ويوقع في النقص العظيم ، فشبهوه بالناقصات تارة ، وبالمعدوم تارة ، فهم أيضا أهل التشبيه »(٢) .

ويقول شارح العقيدة الطحاوية : « فالواجب أن ينظر في هذا الباب ؛ أعني باب الصفات ، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه وما نفاه الله ورسوله نفيناه . والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي ، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني ونفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني ، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها ... »(٣) .

---

(١) ص ٤١ المصدر المتقدم .

(٢) مجموعة التوحيد ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٩ طبعة (المكتب الإسلامي) بيروت الطبعة الرابعة .

ومن رسالة الإمام محمد بن عبد الوهاب فى الأسماء والصفات :

« الذى نعتقده وتدين الله به ، هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ، والتابعين لهم بإحسان من الأربعة وأصحابهم رضى الله عنهم ، وهو الإيمان بآيات الصفات وأحاديثها والإقرار بها ، وإمرارها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل . وقدر الله لأصحاب نبيه ومن تبعهم بإحسان ، الإيمان فعلم قطعا أنهم المرادون بالآية الكريمة » :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » .

فثبت بالكتاب أن من اتبع سبيلهم فهو على الحق ، ومن خالفهم فهو على الباطل . فمن سبيلهم فى الاعتقاد: الإيمان بصفات الله وأسمائه التى وصف بها نفسه وسمى بها نفسه فى كتابه وتنزيله ، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليها ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ولا تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها . ولا تشبه بصفات المخلوقين ، بل أقروها كما جاءت ، وأخذ ذلك الآخر عن الأول ، ووصى بعضهم بعضا بحسن الاتباع ... ولم يؤولوا ما يتعلق بالصفات منها ، ولم يشبهوه بصفات المخلوقين ، إذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم . بل زجروا من سأل عن المتشابه وبالغوا فى كفه تارة بالقول العنيف ، وتارة بالضرب ؛ ولما سئل مالك ، رحمه الله عن الاستواء : أجاب بمقالته المشهورة : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، وأنت رجل سوء) ، وأمر بإخراجه . وهكذا ثبت عن الشافعى ، وعن الإمام أبى حنيفة ، وإمام أهل الحديث الإمام أحمد بن حنبل ومن سار على نهجهم ... » .

فمذهب السلف رحمة الله عليهم إثبات الصفات، وإجراؤها على ظاهرها ونفى الكيفية عنها لأن الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات كما أن إثبات الذات، إثبات وجود، لا إثبات كيفية ولا تشبيه فكذلك الصفات، وعلى هذا مضى السلف كلهم»[1].

ويأتى الإمام الشوكانى بعد ذلك بتحذير من ترك طريقة السلف الصالح واتخاذ علم الكلام وسيلة إلى إثبات العقيدة، أو طريقا لمعرفة الله أو إثبات وجوده، ومعرفة صفاته حيث أنه لا يوصل إلى غاية يرجوها الانسان أو نتيجة يقف عندها المسلم ولهذا لم يلجأ إليه السلف، فيقول: «وإنى أقول بعد هذا: إنه لا ينبغى لعالم أن يدين بغير مادان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وتابعيهم من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة، وإبراز الصفات كما جاءت، ورد علم المتشابه إلى الله سبحانه، وعدم الاعتداء بشىء من تلك القواعد المدونة فى هـــذا العلم المبنية على شفا جرف هار من أدلة العقل التى لا تعقل ولا تثبت إلا بمجرد الدعاوى والافتراء على العقل بما يطابق الهوى.

ولا سيما إذا كانت مخالفة لأدلة الشرع الثابتة فى الحديث والسنة فإنها حينئذ حديث خرافة ولعبة لاعب، فلا سبيل للعباد يتوصلون به إلى معرفة ما يتعلق بالرب سبحانه وبالوعد والوعيد والجنة والنار والمبدأ والمعاد إلا ما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه عن الله سبحانه، وليس للعقول وصول إلى تلك الأمور. ومن زعم غير ذلك فقد كلف العقول ما أراحها الله منه، ولم يتعبدها به، بل غاية ما تدركه وجل ماتصل

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب. تأليف أحمد أبو طامى. طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

إليه . هو ثبوت الخالق البارى . وأن هذه المصنوعات لها صانع . وهذه الموجودات لها موجد : وما عدا ذلك من التفاصيل التى جاءتنا فى كتب الله عز وجل وعلى ألسن رسله فلا يستفاد من العقل ، بل من ذلك النقل الذى جاءت منه وإلينا به وصلت[1] » .

فهذه هى الوجهة السلفية فيما يتصل بالاعتقاد أو أصول الدين . وقد رأيناها قد أسست على الكتاب والسنة ، ورد كل شىء إليهما ، والوقوف بالعقل عندما جاءا به فى هذه الأمور .

وامتدادا للتمسك بالكتاب والسنة ، والالتزام بما ورد فيهما ـ على ما ورد ـ فى أصول الدين ومسائل العقيدة مما يتصل بأسماء الله سبحانه وصفاته .

فإن التوحيد عند أهل السلف هؤلاء له حدوده التى يردون بها كثيراً مما ورد عند غلاة المتصوفة والشيعة وغيرهم فيما يتصل بالولاية ، والنبوة والإمامة والكرامات والمعجزات ، والتوسل بالصالحين أو بأصحاب الأضرحة والمقصورات .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب : « اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة . وهودين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا فى الصالحين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأدب ص ١١٤ - ١١٥ ، الطبعة الأولى نشر مركز الدراسات اليمنية سنة ١٩٧٩ م .

كسر صور هؤلاء الصالحين[1] ، أرسله الله إلى ناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ، ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ، ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما ، وإلا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحي ولا يميت إلا الله ، ولا يدبر الأمر إلا هو : وفى هذا يقول الله سبحانه : « قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) ؟ . وغير ذلك من الآيات .

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم ذلك فى التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد ، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارا ، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبيا مثل عيسى عليه الصلاة والسلام ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) . . .

---

(١) لأنه كما يروى أن الأصنام التى كانت فى قوم نوح انتقلت ببعض أسمائها إلى العرب .

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية[1] لم يدخلهم فى الإسلام . وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم ، والتقرب إلى الله بذلك هو الذى أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذى دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون » . وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله . والإله عندهم : (المشركون) هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور (الشفاعة والتقرب عن طريقه إلى الله الحق) سواء كان ملكا ، أو نبيا ، أو وليا ، أوشجرة أو قبراً ، لم يريدوا أن الإله من هؤلاء هو الخالق الرازق المدبر ، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما تقدم «وإنما يعنون بالإله (الوسيط) ما يعنى (المشركون) فى زماننا بلفظ السيد ، فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد « وهى لا إله إلا الله »[2] .

وعبارات ابن عبد الوهاب هذه ، وإن تراءى لنا فيها بعض التشدد إلا أنه من خلالها تبدو لنا معالم التوحيد وحـــدوده كما أراده الله ورسوله .

وهذه عبارة للامام الشوكانى فى بيان معالم التوحيد ، إلا أنها أهدأ من عبارة ابن عبد الوهاب : « إن ما أدخله غلاة الشيعة والصوفية على العقيدة الإسلامية من جراء رفعهم القبور ، وبناء القباب ، وتجميلها على الأموات من أئمتهم وأوليائهم وجرهم العامة إلى زيارتها والتبرك بها والتوسل بأصحابها ، و اعتقادهم فيهم القدرة على الضرر والنفع ، وشيوع هذا فى الناس وتأصله فيهم وميلهم بهذا عن دعوة الله ، إلى دعوة هؤلاء الأموات

---

(١) أى أن الله هو رب الجميع وخالقهم ورازقهم ومدبر شئونهم .

(٢) رسالة (كشف الشبهات) ضمن مجموعة التوحيد ص ٧٠-٧٢ .

والعكوف على قبورهم ، وطوافهم بها وتعظيمها ، والذبح لهم والنذر إليهم ، لا يمكن أن يتفق مع شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) ، فإن مقتضى هذه الشهادة ألا يعتقد إنسان فى غيره أنه يستطيع أن يفعل ما يختص الله وحده بالقدرة عليه ، وأن لا يأتى من الأعمال ، ولا من العبادات ما يشعر بهذا الاعتقاد ، وأنه من الواجب على كل مسلم أن يخلص شهادة التوحيد لله ، وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء والاستعانة والرجاء . واستجلاب الخير ، واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره كما قال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحدا)[1] ، (له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء)[2] .

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن رفع القبور ، أو بناء المساجد عليها أو بالقرب منها ، وبين أن هذا من خصال الذين ضلوا من النصارى واليهود من قبل فى قوله : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (... أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، بنوا على قبره مسجدا ، ثم عكفوا على قبره ، أولئك شرار الخلق يوم القيامة)[3] .

ثم يرد على أئمة الشيعة أنفسهم بما أخرجه مسلم عن أبى الهياج الأسدى قال : قال لى على : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته[4] .

ويقول شارح العقيدة الطحاوية : « التوحيد الذى دعت إليه الرسل

---

(١) الجن : ١٨ .

(٢) الرعد : ١٤ .

(٣) صحيح البخارى ، صحيح مسلم .

(٤) الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد ص ١٥ طبعة السلفية ، الأولى .

ونزلت به الكتب ، هو توحيد الإلهية (العبادة) المتضمن توحيدالربوبية .
وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وأن خالق السموات والأرض واحد ، كما أخبر تعالى عنهم بقوله : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)[١] ومثلها فى القرآن كثير ، ولم يكونوا يعتقدون فى الأصنام أنها مشاركة لله فى خلق العالم بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركى الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم ، تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين ويتخذونهم شفعاء ، ويتوسلون بهم إلى الله ، وهذا كان أصل شرك العرب ، قال تعالى حكاية عن قوم نوح : (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ، ولا سواعا ، ولا يغوث، ويعوق ونسرا)[٢] .

وقد ثبت فى صحيح البخارى ، وكتب التفسير ، وقصص الأنبياء وغيرها عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وغيره من السلف ، أن هذه أسماء قوم صالحين فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم . ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، وأن هذه الأصنام صارت إلى قبائل العرب كما ذكرها ابن عباس (رض) — قبيلة قبيلة »[٣] .

ثم يورد حديث أبى الهياج الأسدى المتقدم فى صحيح مسلم وما تقدم أيضا من الأحاديث الأخرى فيه وفى البخارى أيضا ، وينهى بيانه لمعالم التوحيد هذه بقوله : « وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل موته بخمس :(إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم

(١) لقمان : ٢٥ .
(٢) نوح : ٢٣ .
(٣) علق على ذلك الشيخ ناصر الدين الالبانى بما يأتى : « صحيح وهو موقوف فى حكم المرفوع » .

مساجد ، آلا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك »[١] .

والخاصية الثالثة : للاتجاه السلفي هي الاجتهاد وهي أن يأخذ العلماء الأحكام والتشريعات من الكتاب والسنة ، لا من آراء العلماء السابقين أو أو المعاصرين دون استدلال بالكتاب والسنة . فنجد الإمام الشوكاني يبين أن الاجتهاد ، وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يكن في عهدهم تقليد ، ولا مقلدون وفي ذلك يقدم لنا قوله : « وإذا عرفت هذا فقد قدمنا من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة ما هو منهج الحق ؛ ومهيع الشرع ، وهو الأمر الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفاؤه الراشدون ، وبه تقوم الحجة على كل مسلم . وكل عاقل له أدنى تعلق بعلم الشريعة المطهرة يعلم علما لا شك فيه ولا شبهة أن التقليد لم يكن عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه حادث بعد مضي عصره صلى الله عليه وسلم وعصر أصحابه ، وعصر التابعين لهم ، فهو رد ، أي مردود مضروب به وجه صاحبه »[٢] .

وبهذا قد تبينا الوجهة السلفية في ذاتها ولنأت لنتعرف عليها ، عند ابن الأمير .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) قطر الولي على حديث الولي ص ٣٢٠ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة القاهرة .

الفصل الثالث

الاجتهاد ونبذ التقليد

نرى الأمير يقف داعية إلى وجوب الاجتهاد ونبذ التقليد ، مبينا أن الذى جنى على الأمة الإسلامية ، إنما هو جمودها على آراء العلماء . وترك الاجتهاد وعدم أخذ الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة . فترك الكتاب والسنة إلى رأى العالم جعل الناس يهجرون القرآن ولا يتدبرونه ولا يرجعون إليه فى أخذ أحكامهم ، أو قوانينهم وتشريعاتهم . وكذلك أهملوا كتاب الله تدبرا ، فإذا قرأوه ، فإنما يقرءونه تبركا لا تأدبا ولا تعلما ولا محاولة لتربية النفس على ما جاء فيه . وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن نصيبها من الإهمال بأقل من نصيب القرآن الكريم [1] .

ويتصدى ابن الأمير لهؤلاء العلماء الذين يجبنون عن الاجتهاد مبينا لهم أن الله يسر الاجتهاد للمتأخرين تيسيرا لم يكن للسابقين . فيقول : « فإن الله وله الحمد والمنة قد قيض للمتأخرين أئمة من المتقدمين ، جمعوا لهم العلوم اللغوية والحديثة من الأفواه والصدور ، وحفظوها لهم فى الأوراق والسطور . وذللوا لهم صعاب المعارف . وقادوها إلى كل ذكى عارف ، ودونوا الأصول واللغة بأنواعها ، مع انتشارها . واتساعها ، وأدخلوا علوم الاجتهاد لأهلها من كل باب . . . . . » [2] .

---

(١) انظر : رسالة (إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد) طبعة المطبعة المنيرية.

(٢) إرشاد النقاد ص ١١ .

وبعد هذه المقدمة المختصرة يصل إلى إلزام المنادين بالتقليد لصعوبة الاجتهاد — بالاعتراف إن كانوا منصفين — بأن نظريتهم هذه خاطئة فيقول : « وبعد هذا فالحق الذى ليس عليه غبار الحكم بسهولة الاجتهاد فى هذه الأعصار، وأنه أسهل منه فى الأعصار الخالية لمن له فى الدين همة عالية ، ورزقه الله فهما صافيا وفكرا صحيحا ، ونباهة فى علمى السنة والكتاب؛ فإن الأحاديث فى الأعصار الخالية ، كانت متفرقة فى صدور الرجال ، وعلوم اللغة فى أفواه سكان البوادى ، ورءوس الجبال ، حتى جمعت متفرقاتها ولفقت مزقاتها حتى لا يحتاج طالب العلم فى هذه الأعصار إلى الخروج من الوطن ، وإلى شد الرحال والظعن ، فياعجباه !!! أحين تفضل الله بجمعها من الأغوار والأنجاد ، وسهل سياقها للعباد حتى أينعت رياضها وأترعت حياضها ، وكثر معينها ، تقول : تعذر الاجتهاد ؟ .

ما هذا والله إلا من كفران النعمة ، وجحودها . والإخلاد إلى ضعف الهمة وركودها ... » [1] .

ثم يضيف إلى الإخلاد إلى ضعف الهمة كعامل من عوامل الأخذ بالتقليد وترك الاجتهاد ، التعصب للمذهب فيقول : « إلا أنه لابد مع ذلك أولا من غسل فكرته عن أدران العصبية ، وقطع مادة الوسواس المذهبية » [2] .

فهو هنا يرى ، أن التعصب للمذهب هو الذى أعمى أبصار وبصائر أتباع المذاهب عن رؤية تيسر الاجتهاد وسهولته ، كما أن هذا التعصب أيضا جعلهم يقفون ضد فكرة التطور والترقى فى مجال الأفكار العلمية

---

(١) إرشاد النقاد ص١٢ .

(٢) نفس المصدر الصفحة .

ويحجرون على المتأخرين من التقدم فى هذا المجال ، ويرون أنهم ليسوا أهلا ، لأن يصلوا الى ما وصل إليه المتقدمون .

ولكن هذا ضد طبيعة الحياة . وضد سنن الكون ، فإن الأمر كما يقول الإمام الشوكانى : « إن نهاية العالم ليست كبدايته ، بل هو سائر فى طريق التطور والكمال ، والنضج العقلى عن طريق ازدياد المعارف وتطورها »[١]، وكما يرى ديكارت : « أن العلم متقدم دائما نحو مرتبة نسبية من الكمال ، وأن عظماء الرجال هم الذين يأتون دائما بأفكار جديدة »[٢] .

وابن الأمير يقول فى ذلك : « فالعجب ممن يقول بتعذر الاجتهاد فى هذه الأعصار . فما هذا إلا لما بسطه الله من فضله لفحول الرجال . فكم للأئمة المتأخرين من استنباطات رائقة واستدلالات صادقة ... »[٣]

ثم يسوق رأى سلفه السيد/ محمد بن إبراهيم الوزير فى ذلك وحيث يبين لنا أن الوجهة الزيدية الأصيلة هى وجهة السلف رضى الله عنهم فيقول : « قال هذا الإمام الكبير فى كتاب (القواعد) مالفظه : « اعلم أنه قد كثر استعظام الناس فى هذا الزمان للاجتهاد ، واستبعادهم له حتى صار كالمستحيل فيما بينهم . وما كان السلف يشددون هذا التشديد العظيم ، وليس هو بالهين . ولكنه قريب مع الاجتهاد ، أى فى تحصيله وصحة الذوق والسلامة من آفة البلادة » .

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٢٤٣ ، ٢٢٤ .

(٢) انظر : المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم ص ٢٨ ، ص ٣٢ الطبعة السادسة .

(٣) إرشاد النقاد ص ٦٤٢ .

ثم يقدم الشروط التى يشترطها ابن الوزير فى المجتهد أو التى يراها عدة للاجتهاد وهو فى الوقت نفسه يبين أنها شروط له أيضا .

وأنا ألخص هذه الشروط هنا لضيق المقام عن تفصيلها ولأنها ستفهم فى هذا المقام على هذا التلخيص :

شروط الاجتهاد عند ابن الأمير :

١ — الشرط الأول : معرفة علم العربية .

٢ — الثانى : معرفة أصول الفقه .

٣ — معرفة علم المعانى والبيان .

٤ — والشرط الرابع : معرفة آيات القرآن الشرعية : أى لآيات الأحكام . وقد قيل : إنها خمسمائة آية . وما صح ذلك . وإنما هى مائتا آية أو قريب من ذلك . ولا أعرف أحدا من العلماء أوجب حفظها غيبا . بل شرطوا أن يعرف مواضعها حتى يتمكن عند الحاجة من الرجوع إليها . فمن نقلها إلى كراسته ، وأفردها كفاه ذلك .

الخامس : معرفة جملة من الأخبار النبوية ، ويكفى فيها معرفة كتاب جامع مثل الترمذى ، وسنن أبى داود والبخارى ومسلم (١) .

ومع ذلك فإنه يبين أن مافى هذه الكتب أكثر من حاجة المجتهد ، وأن الصحابة (رض) لم يحتاجوا فى اجتهادهم إلى كل ما جمعته هذه الكتب : « والذى يدل على أن جملة من الأخبار تكفيه ، ولا يجب الإحاطة بها . أن الصحابة قد صح اجتهادهم فى أحكامهم ، ولم يحيطوا بها (أى بكل

---

(١) إرشاد النقاد ... ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

ما أثر عن الرسول ﷺ) علما . وكذلك التابعون وأئمة الإسلام ، ولم يعلم أن أحدا أحاط بها . ولذا قال الشافعى رضى الله عنه : « علمان لا يحيط بهما أحد . الحديث واللغة » . وهذا صحيح وهو قول الجماهير [١] » .

وهنا نقف أمام ما يقوله الدكتور أحمد صبحى من أن ابن الأمير ظل زيديا وكل ماعنده من الاجتهاد أنه يمثل الاتجاه الزيدى المتفتح على أهل السنة . ومعنى ذلك أنه وإن كان مجتهدا ، إلا أنه كان مجتهدا ، داخل المذهب الزيدى ، أى أنه زيدى المذهب مجتهد فى حدود المذهب .

ولكن ما تقدم لابن الأمير من عرض وجهته الاجتهادية ، يعطينا بكل وضوح أنه كان مجتهدا اجتهادا مطلقا ، أى غير متقيد بمذهب ، وليس بمتقيد إلا بالكتاب والسنة .

وقد نص على ذلك صراحة أعرف الناس به وأخبرهم وأقربهم عهدا به وبيئة ، شيخ المجتهدين الإمام الشوكانى فى ترجمته له حيث يقول فى التعريف به : « ... الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف الخ [٢] » . وكلمة اجتهاد مطلق ، واجتهد اجتهاداً مطلقا ، تعنى الخروج من المذهب وعدم التقيد بمذهب وترجمة الإمام الشوكانى لابن الأمير ترجمة دقيقة وافية وترجمة عالم بصير بأمور الاجتهاد ، وبالمجتهدين .

ولو كان المجال متسعا أو أن هذا الكتاب يحتمل ذلك لعرضنا لبعض المسائل أو الكثير من المسائل الاجتهاديه التى أدارها ابن الأمير ، ولكن مؤقتا نحيل على كتاب من كتبة كى نتبين هذا الاتجاه عنده ، وهو (سبل السلام) . فقد جاء فيه ، بالآراء الشخصية التى لا تقلد عالما ، ولا مذهبا ، وإنما تعتمد على الكتاب والسنة .

---

(١) نفس المصدر ص ٢٤ . هو مانقله ابن الأمير عن ابن الوزير .

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج ٢ ص ١٣٣ .

رده للتقليد وإظهار بطلانه :

ثم يتجه ابن الأمير إلى بيان بطلان التقليد ، ومخالفته للكتاب والسنة فبعد أن يبين تنبيه الأئمة الأربعة على الأخذ بالحديث إذا صح وترك أقوالهم إذا تعارضت مع هذا الحديث أخذ يعرض أقوالهم في كراهة التقليد ومنعهم الناس من ذلك[1]، فيروى: أن أباداود قال للإمام أحمد بن حنبل[1]: « الأوزاعي هو أتبع أم مالك ؟ كأنه يريد أكثر اتباعا من مالك ! فقال : « لا تقلد فى دينك أحداً من هؤلاء . ما جاء عن النبي (ص) وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخير » . وأن الإمام أحمد قال: « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ، ولا الثوري ، ولا الأوزاعي . وخذ من حيث أخذوا ». وقال : « من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال »[2] .

ثم ينتقل من تصريح الأئمة رضى الله عنهم بأن أقوالهم إذا خالفت الحديث فليضرب بها عرض الحائط — « إلى أن الآخذ بقولهم مع مخالفة الحديث غير مقلد لهم ، لأن التقليد هو الأخذ بقول الغير من غير حجة من الكتاب والسنة » : أى أنه فى الواقع إنما يوهم نفسه أنه يأخذ بقولهم ويقلدهم ، وقد صار قولهم الذى أخطأوا فيه وخالف الكتاب والسنة غير منتسب إليهم لأنهم تبرأوا منه بتنبيههم ، إذا خالف قولهم كتاب الله أو سنة الرسول فليضربوا به عرض الحائط ، فلم يعد حينئذ قولا لهم، ولإنما قولهم هو قول الله ، وقول الرسول كما قال ابن الأمير : إن قولهم هذا الذى قلدوا فيه (ليس قولا لهم لأنهم صرحوا بأنهم لا يتبعون فيما خالف الحديث ، وأن قولهم هو الحديث »[3] .

(١) إرشاد النقاد ص ٢٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) إرشاد النقاد ص ٢٨ .

فى الواقع : هم مخالفون لأئمتهم الذين يدعون تقليدهم ،وهم يتعصبون لهم لا على شيء ، وهذا تعصب ممقوت قد يضر بالمقلد ، والمقلد ، والذين قد جاء على غير هذه الروح ، وعلى غير هذه الأسس ،ولا يرى إلا اتباع الحق الذى جاء عن الله وعن الرسول أو عن أى شخص يستقيم كلامه مع كلام الله وكلام الرسول ، ولهذا فإن الإمام أبا حنيفة أحد الأئمة الذين قلدوا قال هو وتلميذه أبو يوسف : « لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم من أين أخذناه » .

وعلى هذا الأساس فإن ابن الأمير يذهب إلى أن الرجل إذا كان متبعاً لأحد الأئمة الأربعة ، ورأى فى بعض المسائل أن قول غيره أقوى منه ؛ فاتبعه كان قد أحسن فى ذلك ، ولا يقدح ذلك فى عدالته ولا دينه بلا نزاع وهذا أولى بالحق وأحب إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فمن تعصب لواحد معين غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ويرى أن قوله هو الصواب الذى يجب اتباعه دون الأئمة الآخرين فقد جعله بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك كفر »(١) .

وابن الأمير يلخص ما تقدم آنفا عن رجل سبقه إلى دعوة الاجتهاد ونبذ التقليد وهو الشيخ محمد حياة السندى فى رسالته (تحفة الأنام فى العمل بحديث النبى (ص) ؛ معضد بذلك رأيه فى بطلان التقليد وبيان آفته . ثم يعلق على ذلك فيقول : « فإنا نقول : هذا الالتزام للشخص المعين ، هل كان إيثار التزام المقلد لمذهب من بين مذاهب العلماء عن نظر واجتهاد قضى له أرجحية مذهبه على غيره التزاما ؛ أو كان عن غير نظر ؛ بل تقليدا فى تعيين التزام مذهبه ؟ .

(١) إرشاد النقاد ص٢٦ ، ٢٨ .

إن كان الأول فدل على أنه مجتهد عارف بالنظر فى الأدلة راجحها ومرجوحها ، وهذا لا يحل له التقليد فضلا عن الالتزام .

وإن كان الثانى (عن غير نظر) فلا اعتبار بالتزامه ، فإن شهوته ، ليست بدليل »[1] .

ثم يستشهد بقول ابن الجوزى فى تلبيس ابليس : أعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد ، وفى التقليد إبطال منفعة العقل لأنه خلق للتأمل والتدبر ، وقبيح بمن أعطى شمعة أن يطفئها ، ويمشى فى الظلمة »[2] .

تفنيد أدلة المقلدين :

وللمقلدة أدلة تقليدية درجوا عليها ، ومنها آيات من القرآن الكريم وبعض من الأحاديث الشريفة يستدلون بها على غير وجهها ، ولكن ابن الأمير لم تجز عليه هذه الاستدلالات المقلوبة وأبصر فيها انهيار آرائهم وسقوط مذاهبهم .

ومن هذه الاستدلالات ، ما استدلوا به من قوله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[3] ؛ فإن المقلد فهم أن هذا أمر منه تعالى بسؤال أهل العلم عما لا يعلمه ، وأخذ هذا الحكم من الآية فهو أمر بالتقليد ولكن ابن الأمير يرد عليهم هذا الاستدلال ، لأن هذا القدر يفهمه منها كل من له أهلية الفهم ، ولا يحتاج الى نحو ولا أصول ولا معان

---

(١) نفس المصدر ص ٢٨

(٢) نفس المصدر ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) الأنبياء : ٧ ، النحل ٤٣ ؛ وآية النحل هى المرادة هنا .

ولا بيان ولا غيرها ، وصار مجتهداً فى وجوب سؤال أهل العلم عما لا يعلم ، لأن المفهوم عرفا من الأوامر هو الوجوب .

وسؤال أهل العلم إنما هو استرواؤهم الآيات والأحاديث التى لا يعلمها السائلون . ولذلك علق الله سبحانه وتعالى فى الآية عدم علمهم بالبينات والزبر ، كما جاء فى الآية التى تليها مباشرة : (بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)[1] ، « فالأظهر فى فهم الآية على هذا ، اسألوهم عن البينات والزبر التى لا تعلمونها ، لا تسألونهم عن آرائهم وما ترجح لهم . . . »

ثم يتوجه إلى المقلدين بقوله : « وإذا فهم المقلد من الآية : (وجوب سؤال أهل الذكر إن كان لا يعلم وأن الله أمره بذلك) ، فأى مانع يمنع أن يفهم من غيرها ما يعمل به فى غيرها من الأحكام ويجتهد »[2] أى أنه يقيم استدلال المقلدين بما فهموه من هذه الآية حجة عليهم وهو أنهم يستطيعون فهم بقية الآيات ويستخرجون منها الاحكام اجتهادا ما داموا قد فهموا هذه الآية . فلا حجة لهم إذن فى هذه الآية على جـــواز التقليد بناء على الأمر بسؤال أهل الذكر .

ويبين لنا ابن الأمير أن سر قول هؤلاء بالتقليد ، إنما هو افتتانهم بمن سبقوهم ممن قلدوهم : « واعلم أنه ليس مع المانعين (للاجتهاد) إلا مجرد الاستبعاد ، واستعظام من وارته اللحود من العلماء الأمجاد (وأن الاجتهاد لا يكون إلا لهم) وليس للمتأخرين إلا جعل أقوال القدماء لأذهانهم

---

(١) النحل : ٤٤ .

(٢) إرشاد النقاد ص ٣٦ ، ٤٠ ، ٤١

كالأصفاد لا يخرجون عنها ، ولو ناطحت علومهم الأفلاك ، وجاوزت معارفهم أهل الكمال والإدراك . وما أرى هذا والله إلا من كفران النعمة وجحودها ، فإن الله سبحانه كمل عقول العباد جميعهم ، ورزقهم فهم كلامه وما أراد »[1] .

ثم يلزمهم الحجـــة بأنهم يقرءون كتبا مؤلفة من الفروع الفقهية ، كالأزهار للهدوية ، والمنهاج للشافعية ، والكبير للحنفية ، ومختصر خليل للمالكية ويفهمون ما فيها ويعرفون معانيها ، ويرجعون فى الفتوى والخصومات إليها ! ! !

فليت شعرى ؟ ! ما الذى خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها وفهم تراكيبها ومبانيها والإعراض عن استخراج ما فيها حتى جعلت معانيها كالمقصورات قد ضربت دونها السجوف ، ولم يبق لنا إليها إلا ترديد ألفاظها والحروف وأن استنباط معانيها قد صار حجرا محجورا ، وحرما محرما محصورا ؟ ! ! » [2] .

فهذا الجهد الذى يبذل فى فهم كتب الأئمة والسابقين من العلماء أولى أن يبذل هو أو أقل منه فى فهم كتاب الله وسنة رسوله . فهذا تناقض عجيب يلزمهم الحجة بسهولة الاجتهاد ، وعدم تعذره ! ! ! .

ويقدم ابن الأمير وجها للتناقض آخر قد وقعوا فيه بإدعائهم أن المجتهد يعز وجوده ، وفى الوقت نفسه يقولون : إن شرط الحاكم أن يكون مقلدا

---

(١) إرشاد ص ٣٦ .

(٢) إرشاد ص ٣٧ .

مجتهدا فى مذهب لمامه . يقول ابن الأمير : « وقال بعض العلماء المتأخرين فى شرح بلوغ المرام فى شرح حديث « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) » ما لفظه ...

إن الحاكم المجتهد هو المتمكن من أخذ الأحكام من الأدلة الشرعية قال : ولكنه يعز وجوده ، بل كاد يعدم بالكلية ، ومع تعذره فمن شرطه أى الحاكم أن يكون مقلدا مجتهدا فى مذهب لمامه ، ومن شرطه أن يحقق أصول إمامه وأدلته ، وينزل أحكامه عليها فيما لا يجده منصوصا فى مذهب إمامه ، انتهى . وقـــد نقلناه فى شرحنا سبل السلام ، وتعقبناه بقولنا : « قلت لا يخفى ما فى هذا الكلام من بطلان وإن تتابع عليه الأعيان ، وما أرى هذه الدعوى التى تطابق عليها الأنظار إلا من كفران نعمة الله عليهم ، فإنهم أعنى المدعين لهذه الدعوى وهى دعوى عزة وجود المجتهدين فى الأحكام بالكلية ، أو كيدودة عدمه مجتهدون ، يعرف أحدهم من القواعد التى يمكنه بها الاستنباط واستخراج الأحكام الشرعية من الأدلة النبوية ما لم يكن قد عرفه عتاب بن أسيد قاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ، ولا أبو موسى الأشعرى قاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليمن ، ولا معاذ بن جبل قاضيه فيها وعامله عليها ، ولا شريح قاضى عمر وعلى رضى الله عنهم فى الكوفة شيئا من هذه الشرائط التى أفادها قول ذلك الشارح رحمه الله أن من شرط الحاكم أن يكون مجتهدا فى مذهب إمامه ، وأن يتحقق أصوله وأدلته إلى آخره هى شرائط المجتهد فى الكتاب والسنة ، فإن هذا هو الاجتهاد الذى قال بعزة وجوده ، أو كيدودة عدمه بالكلية »[1] .

ويظهر ابن الأمير فى هذا الموقف المتقدم بمظهر الجمود وضيق الأفق

(١) إرشاد ص ٣٧ ، ٣٨ .

فيقول : « هلا جعل هذا المقلد المجتهد فى كلام إمامه ، كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عوضا عن كلام إمامه ، وتتبع نصوص الكتاب والسنة عوضا عن تتبع نصوص إمامه ؟ ! والعبارات كلها ألفاظ دالة على معانيها فهلا استبدل بألفاظ إمامه ومعانيها ألفاظ الشارع ومعانيها ونزل الأحكام عليها إذا لم يجد نصا شرعيا ، عوضا عن تنزيلها عن مذهب إمامه فيما لم يجده منصوصا ؟ »(١) .

ثم يبين أن الأسهل هو تفهم كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم « ومن المعلوم يقينا أن كلام الله وكلام رسوله أقرب إلى الأفهام ، وأدنى إلى إصابة بلوغ المرام ، فإنه أبلغ الكلام بالإجماع وأعذبه فى الأفواه والأسماع وأقربه إلى الفهم والانتفاع ، ولا ينكر هذا إلا جلمود الطباع ، ومن لا حظ له فى النفع والانتفاع »(٢) .

ويؤكد ابن الأمير هذه الفكرة بحال الصحابة رضى الله عنهم ، وواقعهم الذى كانوا عليه فى فهم كتاب الله وسنة رسوله ، وأن هذا أمر واجهوه ، ولم يجدوا فيه صعوبة .

« فمن المعلوم يقينا أن كلام الله وكلام رسوله أقرب إلى الأفهام . والأفهام التى فهم بها الصحابة رضى الله عنهم الكلام الإلهى والخطاب النبوى هى كأفهامنا وأحلامهم كأحلامنا ، إذ لو كانت الأفهام متفاوتة تفاوتا يسقط معه فهم العبارات الإلهية ، والأحاديث النبوية لما كنا مكلفين ولا مأمورين ، ولا منتهين لا اجتهادا ، ولا تقليدا »(٣) .

---

(١) إرشاد ص ٣٨ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) إرشاد ص ٣٨ .

ثم يرد بقية أدلة المقلدين وحججهم على النحو التالى :

١ — مما استدلوا به أنه صلى الله عليه وسلم قال فى قصة صاحب الشجة الذى اغتسل بأمر أصحابه ولم يتيمم فمات ، قال لهم صلى الله عليه وسلم : (ألا نسألوا إذا لم تعلموا ؟ ، إنما شفاء العى السؤال) فأرشدهم إلى السؤال ، وهذا السؤال تقليد .

ويجيب ابن الأمير أنه صلى الله عليه وسلم إنما أرشد المفتين لصاحب الشجة إلى السؤال عن حكمه صلى الله عليه وسلم وسنته ، فالحديث حجة على تحريم التقليد لا على جوازه(١) .

٢ — ومما استدلوا به أيضا قوله تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومقلدهم تابع لهم فهو ممن رضى الله عنه .

ويجيب ابن الأمير عن هذا الاعتراض أو يرد هذا الاستدلال بأن المقدمة الأولى صادقة ، ولكن المقدمة الثانية كاذبة ، فإن تفسير الاتباع

---

(١) إرشاد ص ٤٢ وقصة صاحب الشجة هذا ما رواه أبو داود وابن ماجة والدار قطنى من حديث جابر ، قال : « خرجنا فى سفر ، فأصاب رجلا منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه : هل تجدون لى رخصة فى التيمم ؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال : قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذا لم يعلموا ، فإنما شفاء العى السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه ثم تمسح عليه ويغسل سائر جسده » .

انظر : الدرارى المضيئة شرح الدرر البهية للإمام الشوكانى جـ١ ص٨١، ٨٢ .

هنا بالتقليد ، من تحريف الكلم عن مواضعه فاتباعهم ، هو سلوك طريقهم ومنهاجهم ، وقد نهوا عن التقليد ، فلم يكن فى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار مقلد بالاتفاق ، فكيف يقال : من اتباعهم تقليدهم ؟ بل التابعون لهم بإحسان هم أهل العلم أئمة الكتاب والسنة الذين لا يقدمون على كتاب الله رأيا ولا قياسا ، ولا يجعلون كلام أحد عيارا على القرآن والسنن ، ، فالذى اتبعهم هو من تبع الحجة وانقاد بالدليل ، ولم يتخذ رجلا بعينه إماما يقتدى بأقواله وسننه سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1]

والآن وقد وضح هذا الجانب السلفى عند ابن الأمير ورأيناه ينزع عن وجهة سلفية أصيلة فى المناداة بالاجتهاد ونبذ التقليد نختتم هذه الفقرة بهذا القول الفصل الذى يؤكد به ما تقدم . ويبين فيه أن العلم ليس إلا فى كتاب الله وسنة الرسول ، ولهذا يجب الاتجاه إليهما أساسا فى أخذ الأحكام والتشريعات ، وعدم الانشغال وتشتيت الفكر بتلك الآراء والتأليفات الجانبية التى هى من اجتهاد رجال قد يصيبون وقد يخطئون :

« إن فهم أدلة ما يحتاجه المجتهد من الكتاب والسنة أمر ليس بالخفى ولا بالإلغاز الذى لا يعرفه إلا الذكى ، بل كما تقدم إن ألفاظهما أقرب تناولا وأسهل مأخذا وأوضح معنى ، ولا بد للمكلف من تفهم معانى ما كلف به ، إما من كلام شيوخه ، أو من كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ضرورة أنه لا يتم له التكليف إلا بالفهم ، وإلا كان معذورا غير مخاطب بشىء من الشرعيات ، فالفهم الذى يصرفه فى حل عبارات شيوخه وبيان معانيها يصرفه فى تفهم كلام ربه ورسوله صلى الله عليه

(١) إرشاد النقاد ص ٤٢ .

وسلم »(١) . ومما يحفز : إلى ذلك ، أن القدر الذى كلف الله به عباده قد سهله ، وما جعل فى الدين من حرج لا فى فهم المراد ، ولا فى الأفعال التى خاطب العباد بها ، ولهذا فلا داعى ، للاكثار من العلوم التى يشغل الناس بها عن كتاب الله وسنة الرسول ، فإن أكثر العلوم فضول كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : (العلم نقطة كثرها الجهال)(٢) .

---

(١) إرشاد ص ٤٦

(٢) إرشاد ص ٤٧

الفصل الرابع

إخلاص التوحيد لله وحدوده

كان لهذه الوجهة الاجتهادية عند ابن الأمير عونها الكبير على إدراك الانحرافات التي عليها العوام والخاصة ، ثم تبصيرهم بما هم عليه من خطأ في الاعتقاد ، ولو ادعوا أنهم أنصار سنة وليسوا حرفاء بدعة .

فقد رأى في اليمن وفي غيرها[1] - تقديس المسلمين للمدعين للولاية ، والمموهين على العوام بما يدعون من مكاشفات ، أو كرامات ، والاعتقاد فيهم بأنهم يضرون وينفعون ، فعاشوا سلبيين معهم تاركين أنفسهم وأموالهم وأولادهم بين يديهم يصرفونها كيف يشاءون . ولا عليهم إلا أن يقبلوا أيديهم ، ويتمسحوا بهم ، ويلتمسوا البركات منهم ، ويقدموا لهم العوائد والنذور ، ويدعونهم أو يسألونهم الدعوات ، تاركين دعاء الله سبحانه الذي يقول ، (ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)[2] .

فإذا مات هؤلاء السادة الأولياء أو الأقطاب عكفوا على قبورهم ، وطافوا بها[3] ودعوهم هناك ونذروا لهم ، وهتفوا بأسمائهم عند الشدائد

---

(١) انظر تطهير الاعتقاد ص٧ الطبعة الخامسة (طبعة السنة المحمدية) بتحقيق الشيخ حامد الفقي .

(٢) سورة غافر ٦٠

(٣) ويبين ابن الأمير مظاهر الشرك في ذلك فيقول :

« .. إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت . ص ٣١ تطهير الاعتقاد.

« وكل قوم لهم رجل ينادونه ، فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلى ، وأهل التهائم لهم فى كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون : يازيلعى ، يابن العجيل ، وأهل مكة وأهل الطائف ، يابن العباس ، وأهل مصر : يارفاعى ، يا بدوى ، والسادة البكرية وأهل الجبال : يا أبا طير ، وأهل اليمن : يابن علوان ، وفى كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر . وهذا هو بعينه فعل المشركين فى الأصنام كما قلنا فى الأبيات النجدية(١) »

أعادوا بها معنى سواع ومثله
يغوث وود ، ليس ذلك من ودى
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا فى سوحها من نحيرة
أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا
ويلتمس الأركان منهن بالأيدى(٢)

كما يصور لنا مدى ما يبلغ إليه الاعتقاد فى أصحاب الأضرحة والمدعين للولاية فيقول : « بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الأحياء

---

(١) أى فى القصيدة النجدية التى أرسل بها إلى ابن عبد الوهاب مؤيداله ، له حين قام بدعوته فى نجد إلى إخلاص التوحيد .

انظر : (إرشاد ذوى الألباب إلى حقيقة مذهب ابن عبد الوهاب) مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، حديث ٦٠ ص ٣٩٢

(٢) تطهير الاعتقاد ص ٣٢ ثم إلى ص ٤٢ .

من أتباع من يعتقدون فيه : يجعلون له حصة من الولد إن عاش ويشترون منه الحمل فى بطن أمه ليعيش ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون الأولون . ولقد أخبرنى بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور : أنه جاء إنسان بدراهم وحلية نسائه وقال : هذه لسيده فلان : صاحب القبر — نصف مهر ابنتى لأنى زوجتها وكنت ملكت نصفها فلانا — يريد صاحب القبر »[1] .

ويرى ابن الأمير أن هذه الأعمال أخرجت أصحابها عن إخلاص التوحيد لله سبحانه ، بل ألحقتهم بعباد الأصنام بصريح عبارته : « وهذه النذور بالأموال ، وجعل قسط للقبر كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونه (تلما) فى بعض الجهات اليمنية ، وهذا شىء ما بلغ إليه عباد الأصنام وهو داخل تحت قوله تعالى : (١٦ : ٥٦) ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم) بلا شك ولا ريب »[2] .

ثم يقول (فهؤلاء القبوريون والمعتقدون فى جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم مالا يجوز أن يعتقد إلا فى الله ، وجعلوا لهم جزءاً من المال ، وقصدوا قبورهم من ديارهم للزيارة ، وطافوا حول قبورهم ، وقاموا خاضعين عند قبورهم وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقربا إليهم — وهذه هى أنواع العبادات التى عرفناك (أى الشركية)[3] .

---

(١) تطهير الاعتقاد ص٤٠ . (٢) نفس المصدر ص٤١ وقد جاءت هذه الآيه فى صدد الحديث عن المشركين (مشركى قريش) بعد الآيات التالية : (ومابكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ، ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) .

(٣) انظر ص ١٢ ، ص٢١ ، ص٢٢ من هذا المصدر .

ثم يقدم ما يؤكد به مضاهاتهم للمشركين فى اعتقادهم فيقول : «... بل أخبرنى من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولى الذى يقصده تعظيما له وعبادة . ويقسمون بأسمائهم . بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى ، لم يقبلوا منه ، فإذا حلف باسم ولى من أوليائهم قبلوه وصدقوه .

وهكذا كان عباد الأصنام : (إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) .

وفى الحديث الصحيح : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت ، وسمع رسول الله (ﷺ) رجلا يحلف باللات ، فأمره أن يقول « لا إله إلا الله »[1] .

وهذا يدل على أنه ارتد لأنه حلف بغير الله فأمره صلى الله عليه وسلم أن يجدد إسلامه »[2] .

وفى تأكيد هذه المشابهة بين القبوريين وبين المشركين يورد ابن الأمير اعتراضا ثم يجيب عليه فيقول : « فإن قلت : لا سواء . لأن هؤلاء قد قالوا : « لا إله إلا الله » ، وقد قال النبى (ﷺ) : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ، قال لأسامة بن زيد « قتلته بعد ما قال لا إله إلا الله » ؟ . وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين » ؟ ! .

(١) سوره الزمر آية : ٤٥

(٢) تطهير الاعتقاد ص٤٣ ، ٤٤ وقد رأيت هذا بنفسى من امرأة على عتبة باب مسجد الإمام الحسين بالقاهرة : (ابراهيم هلال)

« قلت : قد قال صلى الله عليه وسلم «إلا بحقها» ، وحقها : إفراد الإلهية والعبودية لله تعالى ، والقبوريون لم يفردوا الإلهية والعبادة ، فلم تنفعهم كلمة الشهادة ، فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها كما لم ينفع اليهود قولها لإنكارهم بعض الأنبياء . وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبيا : لم تنفعه كلمة الشهادة . ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويصلون ، ولكنهم قالوا : إن مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم ، فكيف بمن يجعل للولي خاصة الإلهية ، ويناديه للمهمات ؟

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حرق أصحاب عبد الله بن سبأ وكانوا يقولون : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولكن غلوا في علي رضي الله عنه ، واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون وأشباههم فعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحدا من العصاة فإنه حفر لهم الحفائر وأجج لهم نارا وألقاهم فيها ...

« وقد وقع إجماع الأمة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ، ولو قال : لا إله إلا الله ، فكيف بمن يجعل لله ندا ؟ »[1] .

الولاية عند ابن الأمير :

ومما يشوب الإخلاص في التوحيد عند ابن الأمير الاعتقاد الخاطىء في الولاية ، والأولياء . وهو يرى — كما هو الواقع — أن هذا الاعتقاد الخاطىء في الولاية ، وفي الولي ، هو سبب بناء الأضرحة وتعظيمها

---

(١) تطهير الاعتقاد ص ٤٥ ، ٤٦

والإسراج إليها ، والتوسل بمن فيها ، والطواف حولهم إلخ . . . وهو يقدم لنا ذلك فى رسالته التى سماها : (الإنصاف فى حقيقة الأولياء ومالهم من الألطاف والكرامات)[1] ، فيقول فى مقدمتها : . . . وبعد فإنى وقفت على رسالة[2]: جواب سؤال عن شأن الأولياء الأحياء منهم والأموات ومالهم من الأحوال والكرامات . فقضى الجواب فيها : (من المجيب) أن الأولياء وما يريدون وأنهم ممن يقول ولأى شىء أراده : كن فيكون ، وأنهم من القبور لقضاء الحوائج يخرجون ، وأنهم لمواقف جهاد الكفار يحضرون ، وأن العلماء منهم بعد الموت للعلوم يدرسون . . . من هذا الكلام الذى تمجه الأسماع مثل أنهم ينكحون فى القبور ، ويأكلون ويشربون ويطعمون ، ولهم مايشتهون »[3] .

وكان رد فعل هذه الإجابة فى نفس ابن الأمير أن ثارت نفسه ونهض لكتابة الرسالة المتقدم ذكرها ردا على ذلك الشخص ، وما قدمه من أغاليط ويقول فى ذلك : « فتعين إيقاظ أهل الغفلة والمنام من القاصرين والعوام ببيان حقيقة الولى ، وما ورد فى صفته من الآثار ، وبيانه من الكتاب والسنة والأخبار ، ثم بيان رد ما أورده المجيب من الهذيان ، وأنه جعل الأولياء من جملة الأصنام ، والأوثان ، ووصفهم بأنهم كالإله تقدس ، وتعالى ، يقولون للشىء كن فيكون .

ورأيته يتعين إبانة الصواب ، وبيان حقيقة ما اقترفوه من القول بالأوتاد

---

(١) مخطوطة فى مكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

(٢) هذه الرسالة لم يوضحها تماما .

(٣) ص ٢٥٢ ظهر

والأنجاب والأقطاب ، وما خالف فيه (هذا المجيب) بهذه البدعة من أدلة السنة والكتاب[1] .

تعريف الأولياء ومن هم :

رأى ابن الأمير أن يبدأ أولا بتعريف الأولياء ، ويبين حقيقتهم كما جاءت فى الكتاب والسنة ، قبل أن يرد على الاعتقاد الخاطىء فيهم ، فقال « اعلم أن الله تعالى قد عرفنا بأوليائه فى كتابه العزيز فقال : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا ، وكانوا يتقون)(*). ففسرهم تعالى بقوله : : (الذين آمنوا وكانوا يتقون) . فإنها مستأنفة استئنافا بيانيا ، كأنه قيل من هم ، فقال : الذين آمنوا ، وكانوا يتقون »[2].

وبعد أن ظل يشرح الإيمان كما جاء فى الحديث الشريف والآيات القرآنية ، ثم يشرح التقوى كما دلت عليها الآيات القرآنية . ومنها الآية التى جاءت فى أول سورة البقرة (... هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم بالآخرة هم يوقنون ...) قال : « إذا عرفت هذا ، فقد بين القرآن أولياء الله بيانا شافيا ، أنهم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى ، ثم بين تعالى الإيمان وأجزاءه ، والتقوى وأجزاءها .

ثم بعد تقرير هذا ، فلا ريب أن رتبة الإيمان تتفاوت إلى زيادة

---

(١) ورقة ٢٥٢ ظهر .

(٢) ورقة ٢٥٣ وجه .

(*) يونس : ٦٢ ، ٦٣ .

ونقصان حتى ينتهي الإيمان إلى مقدار مثقال الخردلة ، كما وردت به الأحاديث النبوية ، كما أن رتبة التقوى تتفاوت »(١) .

وكأن ابن الأمير يريد بذلك أن الولاية ليست لها تلك الهالة التي يضفيها عليها دعاة التصوف ، ويبين لنا ، أن الأولياء بشر مهما علت ولايتهم ، وأنهم ليس لهم تلك الأعمال ، والخوارق التي يسبغها عليهم هؤلاء المشعوذون ودعاة الدجـــل والقبوريون ، بل هم عرضة لزيادة الإيمان ونقصانه ، وعرضة لفعل المعاصي ، مثل فعل الطاعات .

ويتقابل معه في ذلك الإمام ابن تيمية ، والإمام الشوكاني ، فيقول الإمام أحمد عبد الحليم بن تيمية : « وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه ، تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى »(٢) .

ويقول الإمام الشوكاني : « واعلم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين ، لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب ، وينافي الحق ، فإذا وقع منهم ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء لله كما يجوز أن يخطىء المجتهد وهو مأجور على خطئه ... فإن للمصيب أجران ، وللمخطىء أجر على اجتهاده(٣) .

---

(١) الإنصاف ورقة ٢٥٣ .

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان طبعة صبيح ص ٤٠ .

(٣) قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني تحقيق : د إبراهيم هلال . الطبعة الأولى ص ٢٣٤ .

الولاية إذن هى الإسلام :

وهنا يحسن بنا أن نبين — بشىء من التفصيل — الولاية كما هى مرادة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الولاية فى العقيدة الإسلامية هى الإسلام فحينما تطلق أو تضاف إلى الله سبحانه وتعالى لا يراد بها إلا المسلمون عموما بالجمع ، أو المسلم عموما فى اللفظة المفردة . فـ (ولى) = (مسلم) ، (وأولياء) تساوى (مسلمون) ، (ولى الله) : (الشخص المسلم) ، (أولياء الله : المسلمون) .

وذلك لأن القرآن الكريم حينما استعمل هذه الكلمة فى جانب أولياء الله . أو جانب أولياء الشيطان أو الكفار ، لم يرد بها إلا المعنى اللغوى الذى جاء فى اللغة العربية من قبل نزول القرآن . وهذا المعنى اللغوى جاء متعددا : فتارة يراد بها الله سبحانه وتعالى ، أو السيد المالك للعبد ، أو العبد ، أو القرابة ، أو النصرة والمساعدة . أو المحبة والصداقة أو السلطان ، أى جاءت وأطلقت على معانى القرب والنصرة والمساعدة والمودة[1] .

وهذا هو المعنى الذى أراده القرآن الكريم حينما استعملها فى جانب أولياء الله . وقد جاءت فى أربع وخمسين آية فى هذا الجانب .

كذلك هو نفس المعنى الذى استعملها فيه فى جانب أولياء الشيطان أو فى جانب الكفار . نجد ذلك فى قوله تعالى : (... فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)[2] . وكذلك فى قوله : (... إنما ذلكم

---

(١) انظر القاموس المحيط جـ ٤ مادة « الولى » .

(٢) النساء ٧٦ .

الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم ، وخافون إن كنتم مؤمنين)[١] ، (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، ويحسبون أنهم مهتدون)[٢] ، (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات)[٣] .

وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم فى ست وثلاثين آية ، فدل إطلاقها على المسلمين والكافرين على أن معناها فى هذا الإطلاق : أولياء الله ، وأولياء الشيطان — لم يزد على المعنى اللغوى .

وإذن فمعناها فى جانب المسلمين لا يحتمل تلك المعانى التى أضفاها عليها صوفية المسلمين أو غيرهم ممن تأثر بهم بحيث صارت تطلق على قلة من المسلمين يدعى لهم أنهم وصلوا إلى معرفة الله ، أو أوتوا درجة الكشف والمشاهدة ، أو ترقوا فى درجات العبادة ، بحيث قد صار لهم تمييز خاص عند الله سبحانه على بقية المسلمين ، وأظهروا هذا التمييز لأنفسهم فى شكل ملبس معين ، أو رياسة لطريقة صوفية ، أو إدعاء الكرامات خصهم الله بها من دون الناس ، أو انتساب لآل البيت دون أن يكون هناك نسب بينهم وبينهم . أو أظهرهم أتباعهم بهذه المظاهر فى حال الحياة . وبعد الموت بنوا لهم الأضرحة . ووضعوهم فى المساجد بحيث يتميزون على بقية المسلمين إلخ .

وإننا بعد هذا الإطلاق القرآنى نجد أن هذه الكلمة فى جانب المسلمين تشمل كل مسلم ، وأن معناها لا يزيد عن الإسلام ، وخاصة أن آيات ولاية الله هذه كانت تعنى كل مسلم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن

(١) آل عمران :   (٢) الأعراف : ٣٠ .   (٣) البقرة : ٢٥٧ .

الله سبحانه حين اتخذ المسلمين أولياء ، فقال : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) ، اتخذ فى الوقت نفسه الكافرين أعداء ، فقال : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء)[1] . فهنا مقابلة فى الآيتين بين أولياء الله ، وبين أعدائه . وأولياؤه هم المؤمنون ، وأعداؤه هم الكافرون . ولأن العداوة فى اللغة ضد الولاية . فمن هذه المقابلة بين المؤمنين وأعداء الله فى الآية الثانية يتبين لنا أن المؤمنين أولياء الله . فأولياء الله فى الآية الأولى ، وفى كل آية وردت فى جانب أولياء الله ، هم المؤمنون جميعاً . وهم المسلمون . وعلى هذا الأساس قابل الله بين الكافرين وبين المؤمنين كما ورد فى الآية التالية : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور . والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) .

فهذه المقابلة تؤكد أيضا أن الأولياء هم المؤمنون والمسلمون جميعاً لا طبقة خاصة من دون بقية المسلمين .

وإذا نظرنا إلى أن القرآن الكريم ، إنما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، تبين لنا أن آيات ولاية الله ، إنما كانت تعنى المسلمين الموجودين فى عصره ﷺ جميعا ، وخاصة أن القرآن الكريم قـــد قابل بينهم وبين الكافرين ، وجعل الآخرين أعداء الله .

إذن فلم تقصد أى آية من آيات (أولياء الله) أى ولى من أصحاب الأضرحة ولا من تسمى باسم ولى بعد ذلك حسب تلك الإطلاقات الصوفية التى جاءت بعد نزول القرآن الكريم بمائتين وخمسين عاما على الأقل .

---

(١) الممتحنة : الآية الأولى .

ومن هنا فالمسلمون جميعا هم أولياء الله . وتتفاوت ولايتهم لله حسب درجة إيمانهم ودرجة طاعتهم لله ، أومعصيتهم له فى داخل الإيمان ، لأن الأصل فى الإسلام أن الكل معرض للخطأ ما عدا الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وتقدم لنا هذه الآية الكريمة فى سورة فاطر [1] درجات الأولياء أو درجات المسلمين على حد سواء ، يقول تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصـــد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) .

فهم ثلاث درجات : ظالم لنفسه ، وهم أصحاب الذنوب التى غلبت على الطاعات والحسنات ، ومقتصد وهو الذى جاءت حسناته على قدر سيئاته ، أو تزيد الحسنات قليلا .

والسابق بالخيرات ، وهم الذين غلبت حسناتهم سيئاتهم بدرجة كبيرة والكل قال الله عنهم : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) . فهم جميعا مشتركون فى وراثة كتاب الله ، ومصطفون . لأن الأمر أن الإنسان مادام قد خرج من الكفر إلى الإيمان فقد صار مع الله ، وانتقل نقلة كبيرة جداً ، قياسها أبعد مما بين السماء والأرض . بل لا مناسبة بين الحالين إذ أن هذا مؤمن بالله خالق هذا الكون وبارئه ، والمنعم عليه بتسخير هذا الكون له ، وقد وضع نفسه بناء على ذلك فى قبضة الله وطاعته وعبادته والإيمان به وبرسله على أنه هو الخالق الرازق .

أما غير المؤمن فهو خارج هذه الدائرة . فهو بعيد كل البعد عن الله

---

(١) رقم : ٣٢ .

سبحانه ولذلك كان الأول ولياً لله . وكان الآخر عدوا لله والله هو الذى اتخذه عدواً بعد تجرئه على إنكار وجوده والكفر به . فشتان ما بين الإثنين ! . ولهذا كان جزاء المسلم أن يواليه الله ويحبه ، وينصره ، وكان جزاء الكافر أن يعاديه ويخذله .

بهذا المعنى القرآنى للولاية . استطاع القرآن الكريم أن يؤثر فى نفوس المسلمين الأوائل ، ويشعرهم بأنهم جميعاً على قدم وساق أولياء لله وأحباء فكان أن نبذوا عبادة الأصنام والأوثان التى كانوا يتخذونها فى معظم الأحوال وسيطا بينهم وبين الله وقالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)[1].

نبذوا عبادة هذه الأصنام إلى الإيمان بالله وحده وعبادته ، لما عرفوا أنه (ولى الذين آمنوا) . ثم اتجهوا إلى نصرة دينه على دين المشركين أعدائه. كما استطاعوا أن يشعروا أنهم جميعا عباد الله حقا لما ناداهم جميعا وتحدث عنهم دون تمييز فقال : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)[2] . وإذن فهم ليسوا محتاجين إلى واسطة بينه وبينهم، ولم نر عندهم مظاهر الوساطة التى نشأت مؤخرا ، حينما ظهر التصوف ، والتى تجلت فى ابتداع فكرة الأولياء بمفهوم الصوفية ومن هنا كانت ثقة المسلمين الأولين بأنفسهم بالنسبة لصلتهم بالله سبحانه وقربهم منه وأنهم جميعاً بالنسبة إلى الله أحباؤه ، وأولياؤه . وأنهم كرماء عليه كما قال : (ولقد كرمنا بنى آدم)[3] . فاتجهوا فى دعائهم إلى الله وتوسلهم وطلبهم منه مباشرة دون واسطة ضريح أو شيخ طريقة أما حين فقد هذا المعنى

---

(١) الزمر : ٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٦ .

(٣) سورة الإسراء : ٧٠

مؤخرا فى عقيدة معظم المسلمين فقد رأينا تلك الولاية الصوفية . والالتفاف حول الأضرحة . وفى هذا قتل لنفس المسلم، أو قتل الاسلام فى نفسه، وجور على شخصيته ، وإضعاف لثقته بنفسه أو محوها بالكلية . وإشعاره بأنه حقير ذليل لا يساوى عند الله شيئا ، وأنه بعيد عنه . ولهذا فإن هؤلاء يتجهون إلى أحد أمرين :

إما أن يتجه إلى شيخ الطريقة . أو صاحب الضريح ليصله بالله ويقربه منه ويتوسل إليه من أجله .

وإما أن يجرفه شعور البعد عن الله إلى بعد أكثر فيرتكب المعاصى وينحدر إلى طريق الغواية والشر والبعد عن خط الإسلام .

وإذن فمفهوم الولاية كما هو دائر بين الصوفية عامل من عوامل ضعف الإيمان والبعد عن الله ، أو الشعور بالبعد عن الله . وفى كل هذه الأحوال تكثر المعاصى . وترتكب الموبقات . لأنه حتى فى حالة اتخاذ الوساطة ، والاتجاه إلى الله عن هذا الطريق ، عمل على إضعاف الإيمان ، وعدم مراقبة الله سبحانه كما يجب . لأن الأشخاص قد اتخذوا أولياء إلى جانب الله ، أو لأن وجود الواسطة أبعد الصلة والمسافة بين العبد وربه ، فلم يعد يشعر بذلك القرب الذى يشعر فيه الإنسان بالصلة المباشرة مع الله ، ولم يعد يشعر بقوة بتلك الرقابة التى عليه من الله والتى تمنعه من ارتكاب المعاصى .

رد ابن الأمير للاعتقادات الخاطئة فى الولاية :

وبعد أن يورد ابن الأمير من الأحاديث النبوية ما يبين به المراد من الأولياء [1] ، وأنهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وأنهم يحبون الله ويحبهم

(١) أنظر : الإنصاف ورقة ٢٥٣ ظ .

الله(1) . وأنهم إذا رأوا ذكر الله ، وأنهم الذين يذكرون الله ، ويذكرهم الله الخ .

قال : « إذا عرفت هذا . عرفت أولياء الله . وأن صفاتهم الخوف من الله . والإقبال على ما يرضاه ، والإعراض عن كل ما سواه . وتعرف بطلان ما يأتى من تفسير القوم للأقطاب والأوتاد والأنجاب بأنهم الذين لهم التصرف فى الأكوان ، وأنهم الذين يقولون للشىء كن فيكون، وغير ذلك من الافتراء والبهتان والهذيان مما لا يقبله من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ممن جعل إمامه القرآن ، وكلام سيد ولد عدنان ﷺ »(2) .

ثم يرد على المجيب المشار إليه فيما تقدم فى قوله بالأبدال ، فيورد قوله أولا ، وأنه يقول : إن الأبدال سبعون : أربعون بالشام ، وثلاثون فى بقية أجزاء العالم ، ولا يموت أحدهم إلا قام مقامه واحد من سائر الناس ، ثم يورد نقول هذا المجيب من الكتب وأنه يقول : « وفى النهاية من حديث على رضى الله عنه : الأبدال بالشام . وهم الأولياء ، والعباد ، الواحد منهم (بدل) كجمل ، سمو بذلك لأنه كلما مات منهم واحد ، بدل بآخر . وفى

---

(1) ومن ذلك هذا الحديث الذى يرويه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله . قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا من هم ، وما أعمالهم ؟ فإنا نحبهم لذلك قال : هم قوم تحابوا فى الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها . فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية :

(ألا إن أولياء الله ، لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) تفسير الطبرى جـ ١٥ ص ١٢١ .

(2) الإنصاف ورقة : ٢٥٣ ظ .

التعريفات(*) للمناوى أن الأبدال سبعة : لا يزيدون، ولا ينقصون. يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة ، فكل بدل له إقليم فيه ولايته : منهم واحد على قدم الخليل وله الإقليم الأول ، والثانى على قدم الكليم . والثالث على قدم هارون . والرابع على قدم إدريس ، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم عيسى ، والسابع على قدم آدم على ترتيب الأقاليم ، [1] .

وهذا المجيب يسند إليهم أعمال الله سبحانه وصفاته ، من العلم بالغيب والتصرف فى الأكوان إلخ فينقل ابن الأمير عنه قوله : « ... وهم عارفون بما أودع الله فى الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها ، ولهم من الأسماء أسماء الصفات . وكل واحد بحسب ما يعطيه حقيقة ذلك الإسم الإلهى من الشمول والإحاطة [2] »

وفكرة الأبدال هذه من أصول الاعتقاد فى التصوف الإسلامى فقد تعرض لها القدماء من الصوفية ، مثبتين ومحللين ، ومن أهل السنة والسلفيين، معارضين ، ومبطلين ، وهى فكرة لاتزال تتردد فى التصوف الإسلامى إلى الوقت الحاضر ، فنرى الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر من قبل، يتكلم فى ذلك على أساس اعتقاده لهذه الفكرة ، وأنها أمر مسلم به دينيا، فيقول

* يظهر أنه يريد (التوفيق فى مهمات التعاريف) لأن هذا هو الذى للمناوى (عبد الرءوف) .

(١) الإنصاف : ورقة ٢٥٤ و .

(٢) الإنصاف ص ٢٥٤ و . ويريد هذا المجيب بقوله : ولهم من الأسماء أسماء الصفات إلخ) أنهم مظهر من مظاهر صفات الله سبحانه ، ولهم من الأفعال ما تعطيه هذه الصفات الإلهية ، حسب نظريتهم فى وحدة الوجود . فكأن الله يتصرف بهم ، أو من طريقهم .

فى كتابه : (أبو مدين الغوث [1]) حاكيا عن ابن عربى [2] ، حديثه عن أبى مدين هذا [3] : « ذهبت أنا وبعض الأبدال إلى جبل قاف ، فمررنا بالحية المحدقة به ، فقال لى البدل : سلم عليها فإنها سترد عليك السلام ، فسلمنا عليها فردت ، ثم قالت : من أى البلاد ؟ ... فقلنا : من بجاية ، فقالت : ما حال أبى مدين مع أهلها ؟ . إلخ .

ولهذا كان من الضرورى تقديم رده على القائلين بالأبدال ، وبيان تهافت آرائهم . يقول ابن الأمير : « قلت: وهذا افتراء على الله فإنه لم يأت عنه تعالى ، ولا عن رسله حرف واحد من هذه الأقوال فى هؤلاء السبعة ولم يأت فى الأبدال إلا ما سنذكره قريبا من الأحاديث . وفى كل منها مقال [4] » .

وإلى جانب قول هؤلاء بالأبدال ، فقد قالوا ، بما يسمى بالأوتاد والأقطاب ، والنجباء ، أو الأنجاب .

وفى تفصيل عقيدة هؤلاء القائلين من الصوفية بالأبدال وغيرهم يقول ابن الأمير : « ومن عجائب مافى التعريفات [5] أن الأوتاد أربعة فى كل زمان ، لا يزيدون ، ولا ينقصون ، أحدهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه ، والآخر المغرب ، والآخر الجنوب ، والآخر الشمال ويعبر عنهم

---

(١) أبو مدين الغوث (حياته ومعراجه) : طبعة (كتاب الشعب) .

(٢) هو محيى الدين ابن عربى الصوفى المشهور ، انظر ص١٠١ من أبى مدين .

(٣) هو شعيب بن حسين الأنصارى من الأندلس من إحدى قرى إشبيلية توفى عام ٥٩٤ هجرية بتلمسان بالمغرب : ص ١١١ أبو مدين .

(٤) الإنصاف ص ٢٥٤ و .

(٥) أنظر : ص ٥٢ والتعريفات للمناوى .

بالجبال لحكمهم فى العالم حكم الجبال فى الأرض . وألقابهم فى كل زمن : (عبد الحى) ، (عبد العظيم) ، (عبد القادر) ، (عبد المريد) .

وفى التعريفات أيضاً : (القطب) قد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه ، وهو عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله فى زمانه أعطاه الله الطلسم الأعظم من لدنه ، وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد ، بيده قسطاس الفيض الأعم . وزنه يتبع علمه ، وعلمه يتبع علم الأحق الأعم ... فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ... (١) » .

وفى حديثه عن النجباء ينقل عن المناوى قوله فى التعريفات :

« النجباء ثمانية فى كل زمان لايزيدون ، ولا ينقصون .. هم أهل علم(*) الصفات الثمانية . ومقامهم الكرسى لا يتعدونه ، ما داموا نجباء ، ولهم القدم الراسخ فى علم تسيير الكواكب كيفا ، واطلاعا لا من جهة طريق علماء هذا الشأن ، والنجباء هم الذين حازوا علم الفلك التاسع (٢) » .

ثم يدلى برده المباشر على هذه الأقاويل فيقول : « وإنما نقلناه بألفاظه ليعلم من يقف عليه ممن له بقية نظر لدينه ولإيمانه بالله ورسوله وماجاءت

(١) الإنصاف ص ٢٥٤ و . ، التعريفات ص ٥٢ و .

(٢) نفس المصدرين .

* يظهر أنهم يريدون بعلم الصفات هذا غير ما يريده أهل السنة والسلفيون فى صدر هذا للبحث ، وإنما يريدون أن صفات الله سبحانه تعالى عما يقولون قد تمثلت فى هؤلاء النجباء ، أو فى المخلوقات كلها على ما هو معروف فى مذهب وحدة الوجود .

به الرسل أن هذه التقولات كلها مجانبة لما جاءت به الرسل ولما وردت به كتب الله تعالى المنزلة ، وأن هذه كلها (سقطة من سقطات)[1] المعطلين لله ولرسله . وأنها من كلمات العباد للعباد ، وأن هذا عائد إلى من يقول بإلهية الأفلاك والكواكب ... فهؤلاء أولياء الله عند هؤلاء المبتدعة ، بل المعطلة »[2] .

ولقد سأل الحواريون عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام عن الأولياء، فلم يصفهم بذلك الوصف الذي وصفهم به هؤلاء الغلاة ، فقد روى الإمام أحمد في كتاب الزهد عن وهب بن منبه قال : قال الحواريون يا عيسى بن مريم من هم أولياء الله : قال عيسى عليه السلام : (الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها »[3] .

ويعلق الأمير على ذلك فيقول : فكم بين وصف عيسى عليه السلام لأولياء الله من الخشوع والزهادة . وبين وصف هؤلاء « لمن وصفوه بمشاركة الله في التصرف في العالم ، بل إن العالم قد استغنى بهم عن الله[4] .

ثم يورد رأى نوح عليه السلام في هذا المجال كما حكاه القرآن الكريم ، وأنه قال لقومه حين سألوه مالا يدخل في قـــدرته ، وبعض

---

(١) في مخطوطة ابن الأمير (نقطة من نقطات) .

(٢) الإنصاف ص ٢٥٤ و .

(٣) الإنصاف نسخة أخرى ص ٥٩٧ ، ص ٩٩٩ ، ص ١٠٠٠ ضمن مجموع ١٨٧ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

(٤) الإنصاف ص ٦٠٣ .

الخوارق التي يستدلون بها على نبوته : (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إني ملك ، ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً ، الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين) [١] .

ثم يعلق على هذا بقوله : « وهؤلاء الضلال ، جعلوا الملائكة الأربعة أبعاضاً لهؤلاء الأقطاب » . ثم يبين الأمير أن هذه الألفاظ من الأقطاب وغيرها مبتدعة وهي (اصطلاحية) عند هؤلاء القوم فقط ، لم يأت بها كتاب ، ولا سنة ، ولا لغة ، « إلا الأبدال لما أفاده القاموس والنهاية ، لأنه قد روى ذلك على أحاديث ، فأخرج أحمد عن عبادة بن الصامت مرفوعا : (الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلا ، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا) .

ووردت فيهم أحاديث أخرى عن رواة ومخرجين معتمدين» [٢] . ويعلق الإمام الأمير على هذا بأن هذه الأحاديث في الأبدال في صحتها عند أهل الحديث مقال » [٣] .

والذي قد قرره الأمير بشأن هذه الفكرة والأحاديث التي وردت فيها ، قد قرره ابن تيمية أيضا من قبل ، إذ يقول : « وكل حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة الأولياء ، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء والأوتاد والأقطاب مثل أربعة أو سبعة ، أو إثني عشر أو أربعين أو سبعين ، أو ثلاثمائة ، أو ثلاثة عشر ، أو القطب الواحد ، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم » .

---

(١) هود : ٣١ ، أنظر الإنصاف ص ٦٠٣ النسخة الأخرى .
(٢) الإنصاف ورقة ٦٠٣ .
(٣) الإنصاف النسخة الأخرى ص ٦٠٣ .

ثم يبين أيضاً أن هذه الألفاظ كلها مبتدعة ، لم ترو عن أحد من السلف رضى الله عنهم ، ولم ينسب إلى أحد أنه تكلم باصطلاح من هذه المصطلحات ولا اسم من هذه المسميات ، إلا ما روى بالنسبة لكلمة : (البدل ، والأبدال) فى ذلك الحديث الذى نسب إلى الإمام على رضى الله عنه ، وأنهم أربعون رجلا ، وأنهم بالشام ، ويشير ابن تيمية إلى أن هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد (رضى الله عنه) ، ولكنه حديث منقطع ، وليس بثابت[1] .

وأخيراً يعمد إلى فكرة المعرفة فى الولاية الصوفية ، والرد عليها ، فيورد رأى الشيخ إبراهيم الكردى فى كتابه (قصد السبيل) وأنه يقول : « إن معرفة الله التى وراء طور العقل مما لا تستقل معقول بإدراكها بطريق الفكر وترتيب المقدمات ، وإنما تدرك بنور النبوة والولاية »[2] .

ويرد الأمير على ذلك فيقول : « ولم يزل هكذا يجعل الولاية قسيماً

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٣٢ طبعة محمد على صبيح . وهذا الحديث الذى نسب إلى الإمام على رضى الله عنه يوجد فى ص ١٧١ ج ٢ رقم٨٩٦ فى مسند الإمام أحمد ونصه كالآتى : « حدثنا المغيرة حدثنا صفوان حدثنى شريح يعنى ابن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند على بن أبى طالب وهو بالعراق، فقالوا : ألعنهم يا أمير المؤمنين قال : لا ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأبدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجل يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب » انتهى . وقد قال الشيخ أحمد شاكر فى شرحه لهذا الحديث : إسناده ضعيف لانقطاعه » . الفرقان هامش ص ٣٢ .

(٢) الإنصاف ص ٦٠٣ .

للنبوة ، كأنه يريد أن الولى غير داخل تحت الدعوة النبوية ، وبناء عليه ، فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، « بل هو قسيم له » . وهـــذا من الجهل :

أولا : « بدعوى أن الولى غير المؤمن من التقى ، بل له رتبة غير هذه الرتبة ثم دعوى أنه يستمد من غير واسطة الرسول ، وهم هكذا يصرحون بذلك »(١) .

لأنه بناء على نظريتهم فى الولى والنبي ، وأن كلاهما يصل إلى معرفة الله عن طريق ذلك الطور الذى هو بعد العقل ، أو وراء العقل كما يقولون ، وأن هذا هو الوحى للنبي ، وليس عن طريق جبريل ، وهو طريق الإلهام والكشف للولى ، فلم يعد الولى إذن بحاجة إلى النبي ، بل هو يستمد من غير واسطة الرسول . بل لقد تمادى بعضهم كابن عربى فجعل الولى أرقى من النبي ، وأن هناك خاتم الأولياء ، فى مقابل خاتم الأنبياء ، وأن خاتم الأنبياء إنما يأخذ علمه عن خاتم الأولياء(٢) . وهذا كله جهل ، وتضليل أحلام وسفسطة ، وشيء مخالف للدين ولما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام .

وذلك الطور الذى يقولون به وأنه وراء العقل(٣) ، كلام كهانة ، وإفك لا أصل له ، ولا دليل عليه .

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) أنظر فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربى ص ١٣٤ ، وعنقاء مغرب له أيضاً ص ٧١ . والفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) قارن : المنقذ من الضلال للإمام الغزالى ص ١٣٣ الطبعة الثانية ت د . عبد الحليم محمود ، كيمياء السعادة ص ٨٧ ، ٨٨ . طبعة الجندى .

فالرسول صلى الله عليه وسلم ، يأخذ علمه عن الملك أو عن الله مباشرة في حالة الصحو واليقظة كما قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء)[١] ورؤيا الأنبياء حق دون بقية الناس كما قال تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ...)[٢] .

ومن يسمون بالأولياء عند الصوفية ، لا وجود لهم ولا اعتبار بهم في الشرع الإسلامى كما تقدم ، وكل المسلمين أولياء لله ومن يرى رؤيا ، أو يلهم إلهاما ، لا يجوز له أن يأخذ به إلا بعد عرضه على الشرع الكريم لأن الأمر كما يقول الإمام ابن تيمية ، « أن الوسواس غالب على الناس »[٣] فلا يجوز أن نسلم لهؤلاء الذين يدعون المعرفة والكشف بناء على أنهم ترقوا ، وصاروا في طور يرفعهم فوق العقل ، وهم بهذا الترقى ، يأخذون عن الله أو عن الملك !!!

رأى الأمير في الكرامات :

يرى الإمام محمد بن إسماعيل الأمير ، أن الكرامات لا تنحصر في طائفة معينة من الناس ، ولا تقتصر عليهم ، كما أن الولاية ليست وقفا على قوم ، ولهذا فإنه يجوز أن تقع الكرامة لأى فرد مسلم ، إذا أخلص لله واتقى ، وحقق لنفسه الولاية لله بهذه التقوى

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٥١ .

(٢) سورة الفتح ٢٧ ، وانظر تفسير المعوذتين لابن تيمية ص ٢٠٠ – ٢٠٢ ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية الطبعة الأولى ، القاهرة .

(٣) أنظر : تفسير المعوذتين ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ص ٢٠٢ .

يقول ابن الأمير : « واعلم أن عطاء الله المؤمن الكرامات بإجابة الدعوات وتيسير الطلبات . أمر لا شك فيه ، ولكن هذا لا تختص به طائفة معينة بل هو حاصل للمؤمنين ، إذا أخلصوا النيات ، وأقبلوا على الله بإقبال صدق ..... » .

ثم يعمد إلى مناقشة الآراء القائلة ، بأن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي ، فيقدم رأى أبي إسحق الإسفراييني ونفيه لهذا المبدأ فيقول : « قال الأستاذ أبو إسحق الإسفراييني : « كل ما جاز تقديره معجزة للنبي لا يجوز أن يكون ظهور مثله كرامة لولي[1] ، وإنما مبالغ الكرامات إجابة دعوته، أو موافاة ماء في بادية في غير موقع المياه، أو نحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات »[2] .

ورأى ابن الأمير هو هكذا ، يمنع خرق العادات لغير الأنبياء ، ويرى كما يرى أبو إسحق الاسفراييني أن ما يجوز وقوعه لغير الأنبياء إنما هو ، إجابة الدعاء ، أو إعانة الله الإنسان على قطع المسافة الطويلة في زمن أقصر مما يتوقع لها ، أو الإنجاء من غرق ، أو من وحش[3] إلخ .

فيعلق على رأى أبي إسحق بقوله : « فإن أريد بالكرامات ما ذكره أبو إسحق الإسفراييني ، فهو حق لا ريب فيها ، ولا يخالف فيها إلا جاهل

---

(١) قارن : النبوات لابن تيمية ص ٢ والرسالة القشيرية ص ١٥٨ .

(٢) الإنصاف ورقة ٢١١ ونسخة ثالثة ، قارن : الإمام الشوكاني في كتابه (قطر الولي على حديث الولي) من ص ٢٣٤ — ص ٢٥٧ تحقيق د إبراهيم هلال . الطبعة الأولى .

(٣) وازن : الإمام الشوكاني في قطر الولي ص ٢٤٣ ، ص ٢٤٤ .

أعني نفي الكرامة ، بهذا المعنى ، فمن أنكرها بهذا المعنى فقد فرط ، كما أن من ادعى إثبات الخوارق قد أفرط »[١] .

ثم يناقش الرأي الآخر فيقول : « وأما قولهم : إن كل معجزة لنبي تصح أن تكون كرامة لولي ، فهذه دعوى لا دليل عليها »[٢] وما يحكى من من وقوع الخوارق للأولياء والصالحين ، والتي تسمو إلى أن تكون من جنس معجزات الأنبياء ، فإن الأمير الصنعاني يتصدى لإبطال ذلك وتفنيده فيقول : « وقد نقل أقوام عوام كذبات لقوم من الصالحين تجاوز حد الإعجاز كما في حلية أبي نعيم أنه قال قائل لأبي يزيد البسطامي : بلغني أنك تمر في الهواء قال : وأي أعجوبة في هذا !! ؟ طير يأكل الميتة ويمر في الهواء والمؤمن أشرف من طير ؟ »[٣] :

ويعلق الأمير على ذلك بأن هذا كلام لا يقول به عارف لأنه ضد طبائع الأشياء ، وضد الوقائع الدينية ، وضد الفطنة إلى إعجاز خلق الله وتقديره ؛ «فإن الله جعل من آياته مرور الطير في جو السماء كما قال : (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)[٤] ، (أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن ، إنه بكل شيء بصير)[٥]، ونحو ذلك من الآيات ، ولا يعاب الطير بأنه يأكل من الميتة ، بل هي رزقه ، ولم تحرم عليه ، كما أنه

---

(١) الإنصاف ورقة ٣١١ و .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) الإنصاف : ورقة ٣١١ و.

(٤) النحل : ٧٩ .

(٥) سورة الملك : ١٩ .

حرمت الزكاة على الغنى ، وأحلت للفقير . والله سبحانه لما أسرى برسوله صلى الله عليه وسلم ، لم يطر فى السماء ، بل أرسل إليه البراق ، ثم صعد إليها على المعراج !! . » [1] .

ومن هنا فرأى الأمير أن ما جاز أن يكون معجزة لنبى ، لا يجوز أن يكون كرامة لولى .

وهناك خلاف فى هذه النقطة ، وقد أشار إليه إجمالا الأمير فيما تقدم حين ذكر الرأى الآخر ، وهو أنه يجوز أن يقع للولى كرامات من جنس ما وقع للنبى . ولكن هذه الوجهة قد أتت على توجيهات مختلفة .

أحدها : هذا التوجيه المتقدم الخالى من الاحتراسات والفروق بين النبى وغيره . والذى رفضه ابن الأمير .

وثانيها : أنه يجوز أن تخرق العادة للولى وتكون كرامته من جنس معجزة النبى على أساس أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء ؛ وأن ما حصل للولى إنما هو بفضل اتباعه للنبى والأمير يمنع هذا التوجيه أيضا ، وهو جمع من أهل السنة [2] ومعتدلى الصوفية [3] ، ولكن ابن تيمية يقبل هذا التوجيه ويقول : فإن الأولياء إنما خرقت لهم العادة لمتابعتهم الرسول « فكما أن ما تقدمه من إرهاصات ، إنما هو من معجزاته ، فكذلك ما تأخر عنه » [4] .

---

(١) الإنصاف ورقة ٣١١ و .

(٢) انظر : النبوات لابن تيمية ص ٢ ، ٣ .

(٣) أنظر : الرسالة القشيرية ص ١٥٩ .

(٤) انظر : المصدرين المتقدمين نفس الصفحات . وانظر : الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ورقة ٢ ، ٣ .

وابن تيمية يرد على هؤلاء الذين يمنعون هذا الرأى بذلك التوجيه ويؤكد وجهة نظره بإلزامهم «بأنهم كذبوا بما تواتر من الخوارق لغير الأنبياء والمنازع لهم يقول هى موجودة مشهودة لمن شهدها ، متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء ، وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء، فكيف يكذبون بما شهدوه ، ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره[1] » ؟ .

وهذه وجهة نظر مقبولة ، فإن ما وصل إليه الأولياء أو المسلمون فى درجات الكرامة ، والولاية لله ، إنما هو بسبب متابعتهم، واتباعهم للأنبياء فكراماتهم معجزات للأنبياء ، وهكذا تقفل الباب أمام من يريد أن يرد الرأى الأول بناء على أن الوقائع تدل على أنه وقع للأولياء من جنس ما وقع للأنبياء ، وخاصة إذا كان من يقولون ، بأن هناك وقائع أيضاً تقع للسحرة والكهان من جنس ما يقع للأولياء وللأنبياء ، ويفرق بين النبى والولى وبين غيرهما ، بأن هذين يستعملانها فى الخير ، وغيرهما يستعملها فى الشر كما يقول ابن سينا ، والغزالى : وأن النبى يتحدى بمعجزته ، وغيره لا يتحدى ، ولا يدعى بها نبوة[2] .

ولقد حقق الإمام ابن تيمية هذه النقطة تحقيقاً دقيقاً . لا يكاد يصل إليه فيها غيره واستقصى هذا الموضوع من جوانبه كلها فقال المراتب ثلاثة

---

(١) النبوات ص ٢ .

(٢) قيد التحدى هذا ليس شرطا مقبولا ، للفرق بين النبى وغيره ، فقد يتحدى غير النبى بهذا الخارق الذى وقع له ، كما أن الأنبياء لا يتحدون بخوارقهم أحدا ، لأن الله هو الذى يرسلها لهم كآيات على نبوتهم وأنهم مرسلون من عند الله ولا يحصل منهم تحد ، إلا إذا اعترض المكذبون للنبوة على هذه الآيات .

آيات الأنبياء . ثم كرامات الصالحين ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان ، وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضلال من المسلمين .

أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها «فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء ، لأنهم يقولون : إنما حصل لنا هذا بفضل اتباع الأنبياء، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا » . ويقول ابن تيمية عن هذا الصنف : « فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء كما صارت النار برداً وسلاماً على أبي مسلم مثلما صارت على إبراهيم عليه الصلاة والسلام . وكما يكثر الله الطعام والشراب لكثير من الصالحين ، كما جرى فى بعض المواطن للنبي صلى الله عليه وسلم أو إحياء الله ميتا لبعض الصالحين كما أحياه للأنبياء »[1] .

فهذه الأمور مؤكدة لآيات الأنبياء ، وهى أيضاً من معجزاتهم بمنزلة ما تقدمهم من الإرهاص[2] .

« ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين ، فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى درجة معجزات المرسلين ، كما أنهم لا يبلغون فى الفضيلة والثواب إلى درجاتهم ، ولكن قد يشاركونهم فى بعضها كما قد يشاركونهم فى بعض أعمالهم »[3] .

ويقدم ابن تيمية احتراساً هنا فيقول : « وكرامات الصالحين تدل

---

(١) النبوات ص ٤ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) النبوات ص ٥ .

على صحة الدين الذى جاء به الرسول ، لا تدل على أن الولى معصوم ، ولا على أنه يجب طاعته فى كل ما يقوله » . فمن هنا كانت كرامات الأولياء معجزات للأنبياء .

ثم يعمد إلى المرتبة الثالثة ، مرتبة الكفار والفجار وهم السحرة والكهان فيقول : « وأما خوارق مخالفيهم (الأنبياء) كالسحرة والكهان فإنها من جنس أفعال الحيوان من الإنسان وغيره من الحيوان والجن مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره ، فهذا أمر مقدور معروف للناس بالسحر وغير السحر . وهذا بخلاف كون الماء القليل نفسه يفيض حتى يصير كثيراً ، بأن ينبع من بين الأصابع من غير زيادة يزادها . فهذا لا يقدر عليه إنسى ولا جنى »[1] .

« وكذلك الإخبار ببعض الأمور الغائبة مع الكذب فى بعض الأخبار فهذا تفعله الجن كثيراً مع الكهان ، وهو معتاد لهم مقدور »[2] .

وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون)[3] .

أما ما يخبر به النبى فهو خارج عن قدرة هؤلاء وهؤلاء ، فهو من غيب الله الذى قال فيه : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول »[4]. ولعل هذا كله يدخل تحت قول ابن الأمير : « وإنما مبالغ

---

(١) النبوات ص ٥ ، ٦ .

(٢) النبوات ص ٦ .

(٣) سورة الشعراء : ٢٢٤ :

(٤) سورة الجن : ٢٦ ، ٢٧ ، وانظر : النبوات لابن تيمية ﴿ ٦ ، ٧ .

الكرامات إجابة دعوته ، أو موافاة ماء فى بادية فى غير موقع المياه . أو نحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات ».

والأمير الصنعانى متمكن من مبدئه هذا ، ورأيه لا يزعزعه عنه ما يراه ممن اشتهروا بعلم السنة وعلم الحديث ، من الوقوع فيما وقع فيه الغلاة من الصوفية والمشعوذون ، من نسبة أعمال يرفضها الدين ويأباها العقل والحس الإسلامى إلى الأولياء ، أو إلى أشخاص وهميين أو أسطوريين ، كما وقع من السيوطى (جلال الدين) فى حديثه عن ابن قضيب البان وغيره فى كتابه (القول الجلى فى تطور الولى)[١] ، إذ نسب إلى ابن قضيب البان هذا وغيره أعمالا لا يصدقها عقل ولا يقرها دين ، وتجعل صاحبها ، من أهل النيرنجات والشعوذة والسحر ، لا من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون والذين يسمون عباد الرحمن فى سورة الفرقان ، ووصفهم الله سبحانه ، بأنهم يمشون على الأرض هوناً .

ينقل السيوطى عن (علاء الدين القونوى) — بعد أن مهد لذلك بأنه يعتقد هذا — ما نصه : « وفى الممكن أن يخص الله بعض عباده فى حال الحياة بخاصة لنفسه الملكية القدسية ، وقوة لها يقدرها الله على التصرف فى بدن آخر غير بدنها المعهود ، ومع استمرار تصرفها فى الأول ، وقد أثبت الصوفية عالماً متوسطاً من عالم الأجساد وعالم الأرواح وبنوا على ذلك تجسد الأرواح ، وظهورها فى صورها فى عالم المثال[٢] ...

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٨٠١٦ ب.

(٢) هو العالم المثالى الذى فى الملأ الأعلى ، والذى فيه صورة مثالية لكل مخلوق على الأرض هى الصورة الحقيقية للإنسان أو لغيره من بقية المخلوقات . وهذا الاعتقاد مأخوذ عن أفلاطون حسب نظريته فى المثل .

كما يحكى عن قضيب البان الموصلى ، وكان من الأبدال أنه اتهمه بعض من لم يره يصلى بأنه يترك الصلاة ، وشدد النكير عليه فى ذلك ، فتمثل له فى الحال على الفور فى صور مختلفة ، وقال فى أى صورة من هذه الصور ما رأيتنى أصلى ؟ .[1] » .

« وقال الشيخ خليل المالكى صاحب المختصر المشهور فى كتابه الذى ألفه فى كثرة مناقب شيخه : حكى عن الشيخ أبى العباس المرسى أنه طلبه إنسان لأمر عنده يوم الجمعة بعد الصلاة ، ثم جاء أربعة كل منهم طلب منه مثل ذلك فأنعم للجميع (أى وافق بنعم) ، ثم صلى الشيخ مع الجماعة ، وجاء فقعد بين الفقراء ، ولم يذهب لأحد منهم ، وإذا بكل من الخمسة جاء يشكر الشيخ على حضوره »[2] . أى أنه وهو فى مكانه لم يبرحه تشكل فى خمسة صور لشخصه وذهب إلى كل ! ! ! .

« وقد حكى جماعة أن الكعبة رؤيت تطوف ببعض الأولياء . هذا كلام الشيخ خليل ، وناهيك به إمامة وجلالة »[3] .

ويرد الإمام الأمير الصنعانى على ذلك فيقول : « ولقد راجت هذه الدعاوى الفارغة على جماعة من علماء الإسلام . صاروا كالعامة فى قبول المحالات فلقد ألف الحافظ السيوطى رسالة سماها (القول الجلى فى تطور الولى) ، وأتى فيها بحكايات باطلة ، وأقوال عن الأدلة عاطلة حتى كأنه ما عرف السنة والكتاب ، والولاية ولا ملأ الدنيا بمؤلفاته التى أتى فيها بكلام عجاب .

---

(١) ورقة ٤ ، ٥ .

(٢) القول الجلى ورقة ص ٢/١٠ .

(٣) نفس المصدر ورقة ص ١/١١ .

فلا يغتر الناظر بنقل ما يخالف السنة والكتاب ، وإن حكاه من العلماء بحر علم عباب »[١] .

وهنا نقول : أى الإثنين من علماء أهل السنة والسلف ؟ السيوطى أم الأمير ؟ . وأيهما تأثر بكتاب الله وسنة رسوله ؟ .

هذه هى الولاية عند ابن الأمير وشخصية الولى فيها شخصية إيمانية واقعية عاملة بكتاب الله وسنة رسوله ، لا شخصية أسطورية فوق مستوى الناس والعادات . وهذا هو الاتجاه السلفى الذى تعارف عليه أهل الكتاب والسنة ، وسجله القدماء والمحدثون . وقد نكون قرأنا كثيراً عن شخصية الولى عند أهل السلف من القدماء ، ولكنا لا نرى هذا الكلام راح على أقلام المعاصرين وألسنتهم إلا قليلا ، ولهذا فنحن نقدم من كلام هؤلاء السلفيين المعاصرين ، ما يوضح لنا شخصية ولى الله في هذه الحياة المعاصرة .

يقول السيد محب الدين الخطيب : « ليس الولى من يتماوت ، ويعيش لنفسه وحدها ، فلا تستفيد الملة من جهاده عزة وسيادة يعتز بهما الإسلام ويسود بل الولى هو الذى يضرب بفأسه جلاميد الخندق في طاعة الله ، كما كان يفعل الهادي الأعظم ، وصادقوا الإيمان من أصحابه ، فتتراءى لهم قصور الممالك البعيدة كأنها تستعد لاستقبالهم والإنضواء تحت جناح سيادتهم »[٢] .

وليس الولى من يتصنع الخلوة ، ويتظاهر بالانقطاع للعبادة ، ويبث أعوانه للاستكثار من الأنصار والمجذوبين .

إنما الولى الإسلامى الذى يوالى من والى الله ، ويعادى من عادى الله

---

(١) الإنصاف للأمير ورقة ص ٣١١ ظ . ويجوز أن هذه الأقوال والكتب دست على الإمام السيوطى . المؤلف .

(٢) أولياء الإسلام ، وهل تطمع أن تكون واحداً منهم . للسيد محب الدين الخطيب . المكتبة السلفية ومطبعتها بالقاهرة سنة ١٤٠٣ هـ

فيحب لله ويبغض لله ، ويعمل على إيقاظ روح العزة فى نفوس المسلمين ، ويعرفهم حقوقهم لحفظ ما بقى منها ، واسترداد ما فقد حيثما كانوا وحيثما كانوا . وليس الولى من يزعم أن وراء الشرع ما يخالفه، وأن الولاية تؤدى إلى سقوط شىء من التكاليف الشرعية[1] التى كان نبى الرحمة والأولياء الطاهرون العارفون من أصحابه يقومون بها كاملة فى كل الأحوال ، حتى فى مواقف الجهاد ، وفى صفوف القتال »[2] .

الولاية هى النصرة ، وهى التزام المحجة ، والسير على قدم أهل الصدر الأول . وليس من شرطها الغلو فى العبادة، ولا فى شىء منها ادعاء ما لم يكن عليه الصحابة . إن رأس الولاية وسنامها وروحها الحب فى الله والبغض فى الله ... والعمل على عزة الإسلام ورد السيادة إلى أهله والمعاونة فى حمل أعباء المسلمين ، وإصلاح حال جماعتهم وإحياء شرعهم ، وتأييد شوكتهم وتأهيلهم لما يستغنـــون به عن مصنوعات غيرهم ، ويحفظ لهم أموالهم وأخلاقهم وأعراضهم ، وأوطانهم وكراماتهم »[3] .

لأن هذا فى الواقع هو الذى يريده الله من المسلمين، فقد خلقهم ليكونوا

---

(١) كما يقول بذلك الباطنية ، والغلاة من الشيعة والصوفية . أنظر : كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك اليمانى طبعة ١٣٥٧ هـ ، وفضائح الباطنية للامام الغزالى صـ١٨ — ٢٠ ، صـ٢٦ ، ٤٧ ، قطر الولى للامام الشوكانى تحقيق د . إبراهيم هلال طبعة ١٩٦٩ صـ ٢٨٣ ، صـ ٢٨٤ ، الفرق بين الفرق للبغدادى صـ ٢٦٥ - ٢٧٥ جـ ١ ، الإشارات والتنبيهات لابن سينا قسمى ٣ ، ٤ النمط التاسع صـ ٨ وما بعدها فى التصوف الإسلامى وتاريخه صـ ١٥٧ ترجمة د . أبو العلا عفيفى ، الرسالة القشيرية صـ ٢ ، ٣ ، صـ ٤٢ ، طبعة محمد على صبيح .

(٢) صـ ٣٥ أولياء الإسلام .

(٣) أولياء الإسلام صـ ٣٦ .

قادة الدنيا ، وأن يكونوا فى المقدمة لا فى المؤخرة ، وقد نزلت آيات الولاية فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم حققوا هذا المعنى ، فحققوا لأنفسهم الإسلام الحق وحب الله وتلبية أوامره ، ومكنوا لدين الله فى الأرض ولمن يعتنقون هذا الدين ، فأحبهم ، ووالاهم ، وقال فيهم : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة) أى لهم البشرى فى الحياة الدنيا بالنصرة على الأعداء ، والعزة والسعادة ، والغنى ، والتفوق ، وفى الآخرة بجنات تجرى من تحتها الأنهار ، والنعيم والرضا الكامل منه سبحانه وتعالى .

ويختم السيد محب الدين الخطيب كلمته بقوله : « من علامات الولى الإسلامى التواضع ، ودماثة الأخلاق ، ولطف المعشر ، ومباسطة الناس ومعرفة أقدار الذين يشاركونه فى ولاية الإسلام ونصرته »[1] .

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

الفصل الخامس

(عدم التعويل على علم الكلام فى تثبيت العقيدة)

من الطبيعى أن يكون صاحب الاتجاه السلفى معارضا لعلم الكلام وطريقته فى إثبات قضايا التوحيد وأصول الدين وبتتبعنا للعلماء من كلا الاتجاهين : السلفى والكلامى وجدنا ذلك صار قاعدة مطردة فالإمام الغزالى قد سبق إلى ذلك فى كتابه إلجام العوام عن علم الكلام ، حينما ترك اتجاهه التصوفى والكلامى وأخذ يتجه إلى طريقة السلف ، فنجده يقول : « فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون ، بل أدلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى ، وسائر الأدلة كالأطعمة التى ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى »[1] .

ثم يقول عن الصحابة رضى الله عنهم فى طريقتهم إلى دعوة الناس إلى الإيمان بالله ، وأنها لم تكن على طريقة أهل الكلام التى ضررها أكبر من نفعها . « ... فما ركبوا ظهر اللجاج فى وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات ، وتحرير طريق المجادلة ، وتذليل طرقها ومنهاجها ، كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن ، ومنبع التشويش ومن لا يقنعه أدلة القرآن لا يقمعه إلا السيف والسنان ، فما بعد بيان الله بيان »[2] .

وفى موقف آخر يقول : « إن أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد بالإضافة إلى حسن المعاد هو النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن ما ينتفع

---

(١) إلجام العوام عن علم الكلام ص ٢٦٦ ضمن مجموعة القصور العوالى للإمام الغزالى . مكتبة الجندى . القاهرة .

(٢) نفس المصدر ص ٢٦٨ .

به فى الآخرة أو يضر لا سبيل إلى معرفته بالتجربة كما يعرف الطب، إذ لا مجال للعلوم التجريبية إلا بما يشاهد على سبيل التكرر. فأمور الآخرة لا تدرك بطرق الصوفية. ومن الذى رجع من ذلك العالم فأدرك بالمشاهدة ما نفع وضر وأخبر عنه؟ كما لا تدرك. بقياس العقل، فإن العقول قاصرة عن ذلك، والعقلاء بأجمعهم معترفون بأن العقل لا يهتدى إلى ما بعد الموت، ولا يرشد إلى وجه ضرر المعاصى ونفع الطاعات لا سيما على سبيل التفصيل والتحديد كما وردت به الشرائع»[1].

ثم يعود إلى بيان وجاهة رأيه فى تفضيل طريقة الصحابة رضى الله عنهم طريقة السلف فيقول: «إن أعرف الناس بمعانى كلامه ﷺ وأحرام بالوقوف على كنهه ودرك أسراره، الذين شاهدوا الوحى والتنزيل وعاصروه وصاحبوه بل لازموه آناء الليل والنهار، متشمرين لفهم معانى كلامه وتلقيه بالقبول للعمل به أولا، وللنقل إلى من بعدهم ثانيا...»[2].

فكان ما استفادوه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا المجال: «أنهم فى طول عصرهم إلى آخر أعمارهم. ما دعوا الخلق إلى البحث والتفتيش والتفسير، والتأويل، والتعرض لمثل هذه الأمور، بل بالغوا فى زجر من خاض فيه وسأل عنه وتكلم به على ما سنحكيه عنهم، فلو كان ذلك من الدين، أو كان من مدارك الأحكام وعلم الدين لأقبلوا عليه ليلا ونهارا ودعوا إليه أولادهم وأهليهم وتشمروا عن ساق الجد فى تأسيس أصوله وشرح قوانينه تشمرا أبلغ من تشمرهم فى تمهيد قواعد الفرائض والمواريث فنعلم بالقطع من هذه الأصول أن الحق ما قالوه، والصواب

---

(١) نفس المصدر ص ٢٧٢

(٢) نفس المصدر والصفحة.

ما رأوه لا سيما وقد أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم » وقال صلى الله عليه وسلم : « ستفترق أمتى نيفا وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة ، فقيل من هم ؟ فقال : « أهل السنة والجماعة » فقال : « ما أنا عليه الآن وأصحابى »[1] .

كذلك نجد هذه الخاصية عند أبى الوليد ابن رشد فهو قد اتسم بالاتجاه العقلى كفيلسوف ، إلا أنه غلب عليه الاتجاه السنى السلفى فأخضع عقلياته إلى الأصول الدينية ، وقبل منها ما يتصف بالسلامة والتوافق مع النص الصحيح فكان الفيلسوف العقلى الملتزم بنصوص الكتاب والسنة[2] ، ولهذا وقف هذا الموقف من علم الكلام ، فنجده ينعى على المتكلمين طرقهم فى معالجة قضايا الألوهية والنبوة ، ويرى أنها « ليست طرقا نظرية يقينية ولا طرقاً شرعية يقينية . وذلك ظاهر لمن تأمل أجناس الأدلة المنبهة فى الكتاب العزيز على المعنى بمعرفة وجود الصانع .

وذلك أن الطرق الشرعية إذا تؤملت ، وجدت فى الأكثر . قد جمعت وصفين : أحدهما أن تكون يقينية ، والثانى أن تكون بسيطة غير مركبة أعنى قليلة المقدمات ، فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأولى »[3] والإمام الشوكانى كإمام من أئمة الكتاب والسنة وركن من أركان السلفية فى الفكر الإسلامى ؛ وممن ضربوا فى علم الحديث بسهم وافر نظر هذه النظرة إلى علم الكلام بعد خبرة وتجربة ، ونظر فيه وفى أساليبه فنراه

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٣ .

(٢) ارجع إليه فى كتابيه : مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال .

(٣) مناهج الأدلة . تحقيق د . محمود قاسم الطبعة الأولى ص ١٤٨ .

يقول : « فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل إما من كل وجه ، أو من بعض الوجوه ، وما صدر عن جهل فهو مضاف إلى جهل ، ولاسيما إذا كان فى ذات الله وصفاته ، فإن ذلك من المخاطرة فى الدين ، ما لم يكن فى غيره من المسائل ، وهذا يعلمه كل ذى علم ويعرفه كل عارف » .

والشوكانى يعتبر هذه الأمور من التكلف ، واعتبر المتكلمين متكلفين وبين أنهم ندموا على سلوكهم هذا الطريق : « بل اعترف كثير منهم بأنه لم لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح » ، وهو إمرار آيات الصفـــات على ظاهرها ، دون تأويل ولا تشبيه ، ولا تحريف ولا تعطيل — لم يستفيدوا وإلا بجرد الحيرة التى وجدوا عليها غيرهم من المتكلفين حتى قال بعضهم(١) :

لعمرى لقد طفت المعـــاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن ، أو قارعاسن نادم

ثم يحدثنا بأنه خاض هذه التجربة بنفسه فيقول :

« وها أنا أخبرك عن نفسى ، وأوضح لك ما وقعت فيه فى أمسى ، فإنى فى أيام الطلب ، وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذى سموه تارة علم الكلام ، وتارة علم التوحيد ، وتارة علم أصول الدين ، وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ، ورمت الرجوع بفائدة ، والعود بعائدة ، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة وكان ذلك من الأسباب التى حببت إلى مذهب السلف ، على أنى كنت قبل ذلك عليه ، ولكن أردت أن أزداد منه بصيرة ، وبه شغفا . وقلت عند ذلك فى تلك المذاهب :

---

(١) وهو الإمام الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم) .

وغاية ما حصلته من مباحثى ... ومن نظرى من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة ... فما علم من لم يلق غير التحير
على أننى قد خضت منه غماره ... وما قنعت نفسى بغير التبحر[1]

وهكذا نجد أصحاب الاتجاه السلفى يقفون هذه الوقفة دائماً من علم الكلام. فلم يكن من المنتظر إذا من الأمير الصنعانى، وهو على ما تقدم لنا من أخذ بالوجهة السلفية من جميع زواياها — أن يكون على غير ذلك. فقد أعلن موقفه صريحا من علم الكلام، وبين بأنه ليس بطريق إلى غرس العقيدة، ولا تعليم الناس ما يجب أن يعتقدوه فى جانب النبوات، أو موضوع الألوهية، وإنما مباحثه واتجاهاته مباحث مبتدعة ليس لها أصول ولا صلة بطريقه السلف ولا اتجاهاتهم:

ومن قوله فى ذلك:

« فإن مباحث علم الكلام مبتدعة لا متبعه، والابتداع يباين الاتباع ومن تتبع مؤلفات هذا الفن، وتأمل أقوال الأعلام رحمهم الله تعالى، وجد طريقة السلف أقوم قيلا وأجدى سبيلا[2] ».

ثم ينقل قول محمد بن عبد الكريم الشهرستانى المتقدم فيقول:

---

(١) التحف فى مذاهب السلف للإمام الشوكانى ص ٥٣، ٥٤ الطبعة الأولى ضمن (عشر رسائل سلفية) مطبعة المنار بمصر.

(٢) الروض النضير من تراجم بعض مؤلفات سيدى محمد بن إسماعيل الأمير جمع وتأليف ولده إبراهيم بن محمد الأمير. مخطوط بمكتبة حفيده محمد عبد الخالق الأمير بصنعاء، ورقة ٤١ ظ

قال صاحب نهاية الإقدام معترفا بأن علم الكلام لا يجدى شيئا :

وقد طفت فى تلك المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك العوالم

وكان من ابن الأمير أن أجاب عنه بقوله :

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسـ ـول ومن ولاه من كل عالم
فما ضل من يهوى بهدى محمد ولست تراه قارعاً سن نادم[١].

ثم يورد قول الإمام الشافعى رحمه الله : « لأن يلق الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشىء من الكلام » . ثم قوله المشهور : « حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالحديد ، ويطاف بهم فى العشائر والقبائل . ويقال هذا جزاء من ترك السنة والكتاب وأخذ فى الكلام » . ويلخص هذا فى البيتين التاليين :

وإن كان الكلام به كلام يؤول إلى التجادل والخصام
وعنه الشافعى نهى وأفتى بتعزير به كلم الكلام[٢]

رأيه فى مسألة الصفات وما يتصل بأمور الآخرة :

وبناء على هذه الوجهة السلفية ، فإن ابن الأمير يقف من مسألة صفات الله سبحانه وأسمائه وما جاء من نصوص الكتاب والسنة فى هذا الصدد — وكذا فيما يتصل بأمور الآخرة — موقف المؤمن بهذه الصفات على ما وردت فى ظاهر ألفاظها من غير تأويل للفظ العربى على غير معناه ولا تحريف له عما ورد على ظاهره : « وذلك لأنه أخبر به الرسول صلى

---

(١) نفس المصدر ورقة ٤٧ و .
(٢) نفس المصدر ص ٤٨ .

الله عليه وسلم الذى يجب على الأمة تصديقه ؛ فيجب قبول ما أخبر به من أمور الدارين وتلقيه بالتصديق ، وحمله على اللغة العربية من غير تحريف ولا تأويل ، ولا فتح باب (فلو قيل) بل يصدق كل ما قاله ، وما جاء به على ما جاء (١) .

ويطالب الدارسين لهذا الموضوع والدين والعقيدة بأن يقفوا أيضا هذا الموقف لأن هذا هو الموقف الحق والاعتقاد الصحيح :

« فإن فهمت المقالة فيا حبذا ، وإن لم تفهم فلا تقل : نؤوله بكذا ، أو بكذا ، بل تكل معناه إلى قائله ، وتتهم فهمك القاصر ، وتسأل الله أن يعلمك ما لم تعلم ، فهو على كل شىء قدير » .

ثم يستشهد بابن القيم فى هذا المجال فيقول : « وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله : إنه ينبغى أن يفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمل ولا يقصر به عن مراده وما قصد به من الهدى والبيان »(٢) .

ويأتى برأى ابن رقيم فيمن تنكب هذا الطريق وسار على غير هدى السلف رضى الله عنهم فينقل عنه : « وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله . بل سوء الفهم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم أصل كل بدعة وضـــلالة نشأت فى الإسلام بل هو أصل كل خطأ فى الفروع والأصول ، ولا سيما إن

---

(١) جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت لابن الأمير . طبعة مكة المكرمة سنة ١٩٨١ مطابع دار الثقافة ص ٣٥ .

(٢) جمع الشتيت ص ٣٥ .

أضيف إليه سوء القصد ، فيتفق سوء الفهم فى بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده ، وسوء القصد من التابع . فيا محنة الدين من أهله ! ! !

وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر الطوائف من أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، حتى صار الدين بأيدى أكثر الناس هو موجب هذه الأفهام ؟ والذى فهمه الصحابة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مهجور لا يلتفت إليه ، ولا يرفع له رأس ؟ »(١) .

ويلخص ابن الأمير لنا رأيه فى مسألة الصفات فى أبيات من الشعر فيقول :

فهو لما يريده فعـــال	وليس فى الخلق له مثال
قدرته لكل مقدر جعل	وعلمه بكل معلوم شمل
متفرد بالخلق والتدبير	جل عن الشبيه والنصير
حى مريد قادر عـــلام	له البقا والسمع والكلام
كلامه كوصفه القديم	لم يحدث المسموع للكليم
يكتب فى اللوح وباللسان	يقرأ كما يحفظ بالأذهان(٢)

والله الموفق للصواب والهادى إلى سواء السبيل ؟

---

(١) نفس المرجع ص ٣٥، ٣٦

(٢) أرجوزة فى أصول الدين ورقة ١٥١ وجه، مخطوطة ضمن مجموع بمكتبة محمد عبد الخالق الأمير بصنعاء، حفيد ابن الأمير .

أهم المراجع

١ — القرآن الكريم .

٢ — صحيح البخارى . الإمام محمد بن إسماعيل البخارى .

٣ — الجامع الصحيح . الإمام مسلم بن حجاج القشيرى .

٤ — ابن الأمير وعصره للأستاذ قاسم غالب ، والشيخ محمد الأكوع . والأستاذ محمود زايد ، وآخرين . نشر المراكز الثقافية باليمن .

٥ — الاجتهاد والتقليد عند الإمام الشوكانى . تأليف وتحقيق د. إبراهيم هلال . دار النهضة العربية . القاهرة . الطبعة الأولى .

٦ — أدب الطلب ومنتهى الأدب . الإمام محمد بن على الشوكانى . تحقيق الأستاذ عبد الله محمد حبشى . الطبعة الأولى . مركز الدراسات اليمنيـة .

٧ — أرجوزة فى أصول الدين . مخطوطة ضمن مجموع بمكتبة الأستاذ محمد عبد الخالق الأمير بصنعاء ، وضمن مجموع رقم ٧٣ ، بمكتبة الجامع الكبير .

٨ — إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . الإمام الشوكانى الطبعة الأولى . مصطفى الحلبى . القاهرة .

٩ — إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد . ضمن مجموع الرسائل المنيرية المطبعة المنيرية ، القاهرة . الطبعة الأولى .

١٠ — الإشارات ، والتنبيهات ، لابن سينا . ت د . سليمان دنيا . الطبعة الأولى . دار المعارف . القاهرة .

١١ — الإكليل . العدد الثانى ، السنة الأولى . مجلة تصدر عن وزارة الإعلام بصنعاء . الجمهورية العربية اليمنية .

١٢ — الإنصاف فى حقيقة الأولياء ، وما لهم من الألطاف والكرامات . مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموع ٥٣ ، ١٨ .

١٣ — إلجام العوام عن علم الكلام للإمام الغزالى ضمن مجموعة القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى طبع مكتبة الجندى . القاهرة .

١٤ — أولياء الإسلام ، وهل تطمع أن تكون واحداً منهم ؟ الشيخ محب الدين الخطيب . المكتبة السلفية سنة ١٤٠٣هـ الروضة ، القاهرة .

١٥ — البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . للإمام الشوكانى . الطبعة الأولى ، مصطفى الحلبى . القاهرة .

١٦ — التحف فى مذاهب السلف للإمام الشوكانى ضمن (عشر رسائل سلفية) . الطبعة الأولى ، القاهرة . مطبعة المنار سنة ١٣٥١هـ .

١٧ — تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد . مطبعة السنة المحمدية . القاهرة . سنة ١٩٧٤ .

١٨ — التعريفات للجرجانى . الطبعة الأولى مصطفى البابى الحلبى . القاهرة . سنة ١٣٥٧هـ .

١٩ — جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت . محمد بن إسماعيل الأمير . طبعة مكة المكرمة سنة ١٣٨١هـ تصحيح حسن المشاط .

٢٠ — الدرارى المضية شرح الدرر البهية للإمام الشوكانى . طبع بيروت . دار المعرفة .

٢١ — الدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد للإمام الشوكانى . المطبعة السلفية . الطبعة الأولى .

٢٢ — ديوان ابن الأمير . الطبعة الأولى . المدنى . القاهرة . تحقيق فضيلة الشيخ على صبح المدنى .

٢٣ — الرسالة القشيرية للقشيرى . الطبعة الأولى . محمد على صبيح . القاهرة .

٢٤ — الروض النضير ، من تراجم بعض مؤلفات السيد / محمد بن إسماعيل

الأمير . مخطوط بمكتبة الأستاذ / محمد عبد الخالق الأمير بصنعاء . جمع وتأليف ولده إبراهيم بن محمد الأمير .

٢٣ — الزيدية . للدكتور أحمد محمود صبحي . نشر منشأة المعارف بالإسكندرية . الطبعة الأولى .

٢٤ — شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي . المكتب الإسلامى . بيروت . الطبعة الرابعة .

٢٥ — للشيخ محمد بن عبد الوهاب . أحمد أبو طامى . طبع ونشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٢٦ — عقيدة السلف وأصحاب الحديث الإمام محمد بن إسماعيل الصابونى . ضمن مجموعة الرسائل المنيرية . الجزء الأول .

٢٧ — فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير . الإمام الشوكانى .

٢٨ — الفرق بين الفرق للبغدادى . مطبعة المعارف سنة ١٩١٠م . القاهرة .

٢٩ — الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية . طبعة محمد على صبيح . القاهرة .

٣٠ — فضائح الباطنية . الإمام محمد بن محمد الغزالى . الطبعة الأولى .

٣١ — فى التصوف الإسلامى وتاريخه . ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى .

٣٢ — قطر الولى على حديث الولى الإمام الشوكانى أو ولاية الله والطريق إليها . تحقيق ودراسة . للدكتور إبراهيم هلال . نشر دار الكتب الحديثة .

٣٣ — القول الجلى فى تطور الول لجلال الدين السيوطى . مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٨٩١٦ ب .

٣٤ — القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد . الإمام الشوكانى . طبعة مصطفى البابى الحلبى . الأولى .

٣٥ — كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك اليمانى طبعة ١٩٥٧ .

٣٦ — كشف الشبهات . الإمام محمد بن عبد الوهاب . طبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٢هـ .

٣٧ — مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب . نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . بالرياض . المملكة العربية السعودية .

٣٨ — مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد تحقيق د. محمود قاسم نشر الأنجلو المصرية . الطبعة الأولى .

٣٩ — المنطق الحديث ومناهج البحث . الدكتور / محمود قاسم . دار المعارف . القاهرة . الطبعة السادسة .

٤٠ — النبوات الإمام أحمد عبد الحليم بن تيمية . الطبعة الأولى . المنيرية . محمد منير الدمشقي .

٤١ — نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف للشيخ محمد محمد زبارة . المطبعة السلفية ومكتبتها سنة ١٣٧٦هـ .

٤٢ — نقض المنطق الإمام أحمد عبد الحليم بن تيمية . الطبعة الأولى . ت الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة ، الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع . طبعة السنة المحمدية . القاهرة .

كلمة شكر و تقدير

يسرني أن أتقدم بوافر الشكر للأستاذ محمد عبد الخالق الأمير حفيد إمامنا محمد بن إسماعيل الأمير على ما تفضل به من تعاون معى على إرشادى إلى كتب ابن الأمير ومراجعه ، سواء فى مكتبته الخاصة ، أو مكتبة الجامع الكبير بصنعاء .

كما أخص بالشكر القاضى إسماعيل الأكوع الرئيس العام لهيئة الآثار ودور الكتب بصنعاء على تفضله بتسهيل اطلاعى على ما احتجته من مراجع من مكتبة الجامع الكبير أثناء إقامتى بصنعاء .

وكذا الإخوة الأفاضل القائمين على مكتبة الجامع الكبير .

وقبل هذا ، وبعد هذا فإنى أحمد الله سبحانه الذى هيأ لى فرصة زيارة صنعاء المتميزة ، والإقامة فيها ، والتنعم بهوائها وشمسها وجمالها وطيب الحياة فيها ومع أهلها الأصلاء الكرماء ، والعمل فى جامعتها الغراء مع ألطف إخوة وآدب أبناء . فقد حببها إلى أولا ، الإمام الشوكانى فوجدتها على ما وصف ، ووصف لى أهلها . ثم حببها إلى أخيراً أكثر وأكثر الإمام محمد بن إسماعيل الأمير فى لطفه ورقة شمائله ، وقوة إيمانه ، وركونه إلى الله وإقباله عليه ، وهكذا دفعنى إليه لأن أبدأ معه رحلة أخرى ، إن شاء الله . أسأل الله العون عليها والعمل فى إبراز هذا الإنتاج الإيمانى إلى الناس .

إبراهيم إبراهيم هلال

القاهرة — جامعة عين شمس



فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

للمؤلف

((الدكتور إبراهيم هلال))

١ - إرشاد الثقات إلى إتقان الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات. للامام الشوكاني - تقديم وتحقيق .

٢ - الإسلام وأصول الحكم عند الإمام على رضى الله عنه .

٣ - الأصول والفروع لابن حزم ج ١ ، ٢ تحقيق مع آخرين .

٤ - الإمام الشوكاني ، والاجتهاد والتقليد .

٥ - أمناء الشريعة للشوكاني - تقديم وتحقيق .

٦ - التربية الإسلامية بين التأثير والتأثر . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٧ - التصوف الإسلامى بين الدين والفلسفة .

٨ - الرسالة العرشية فى حقائق التوحيد وإثبات النبوة لابن سينا - تقديم ودراسة وتحقيق .

٩ - الدين وقيادة الدنيا .

١٠ - الدين والمجتمع - جزء أول .

١١ - طوق الحمامة لابن حزم الأندلسى تقديم .

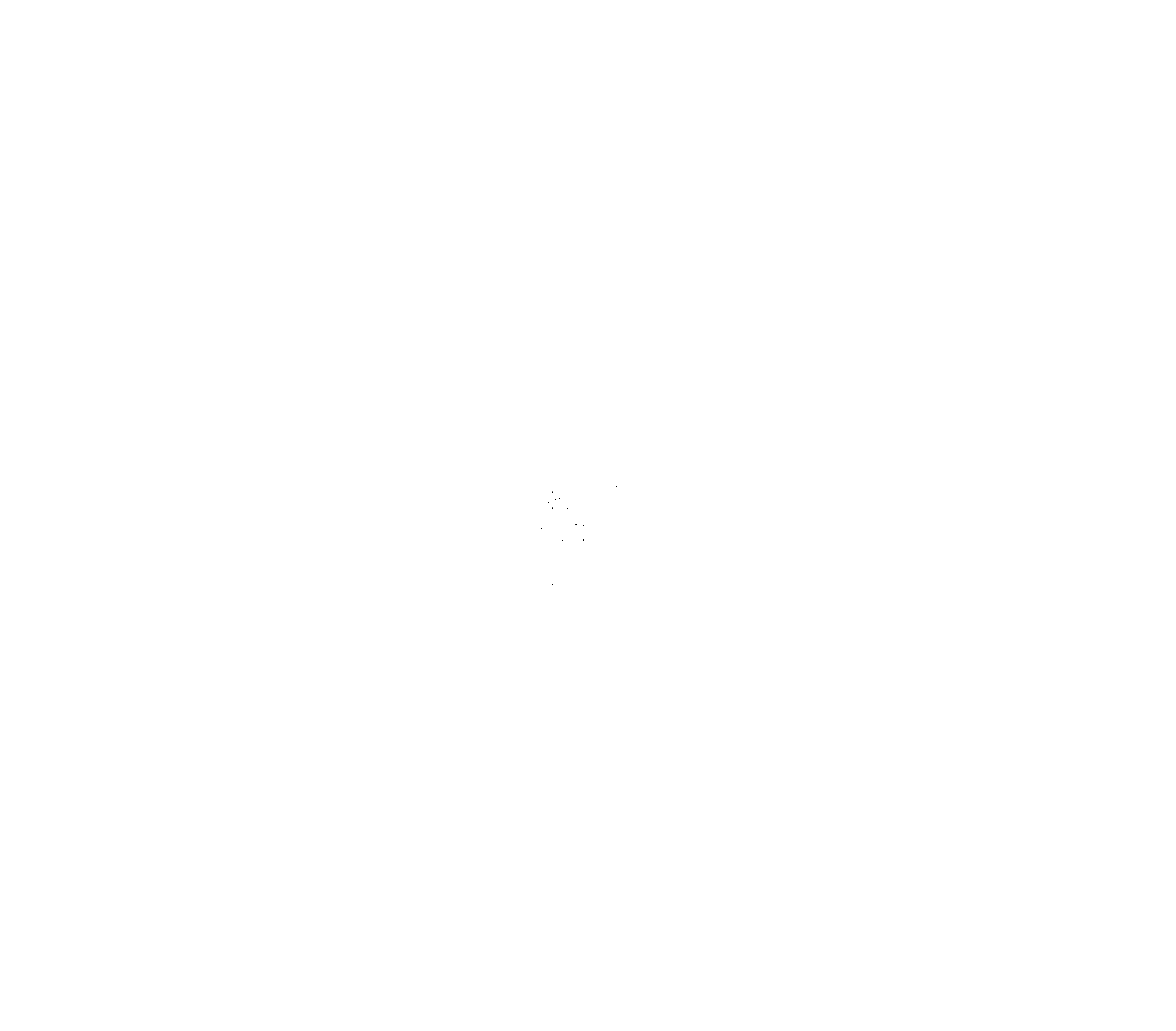
١٢ — نظرية المعرفة الإشراقية جـ ١ ، ٢ .

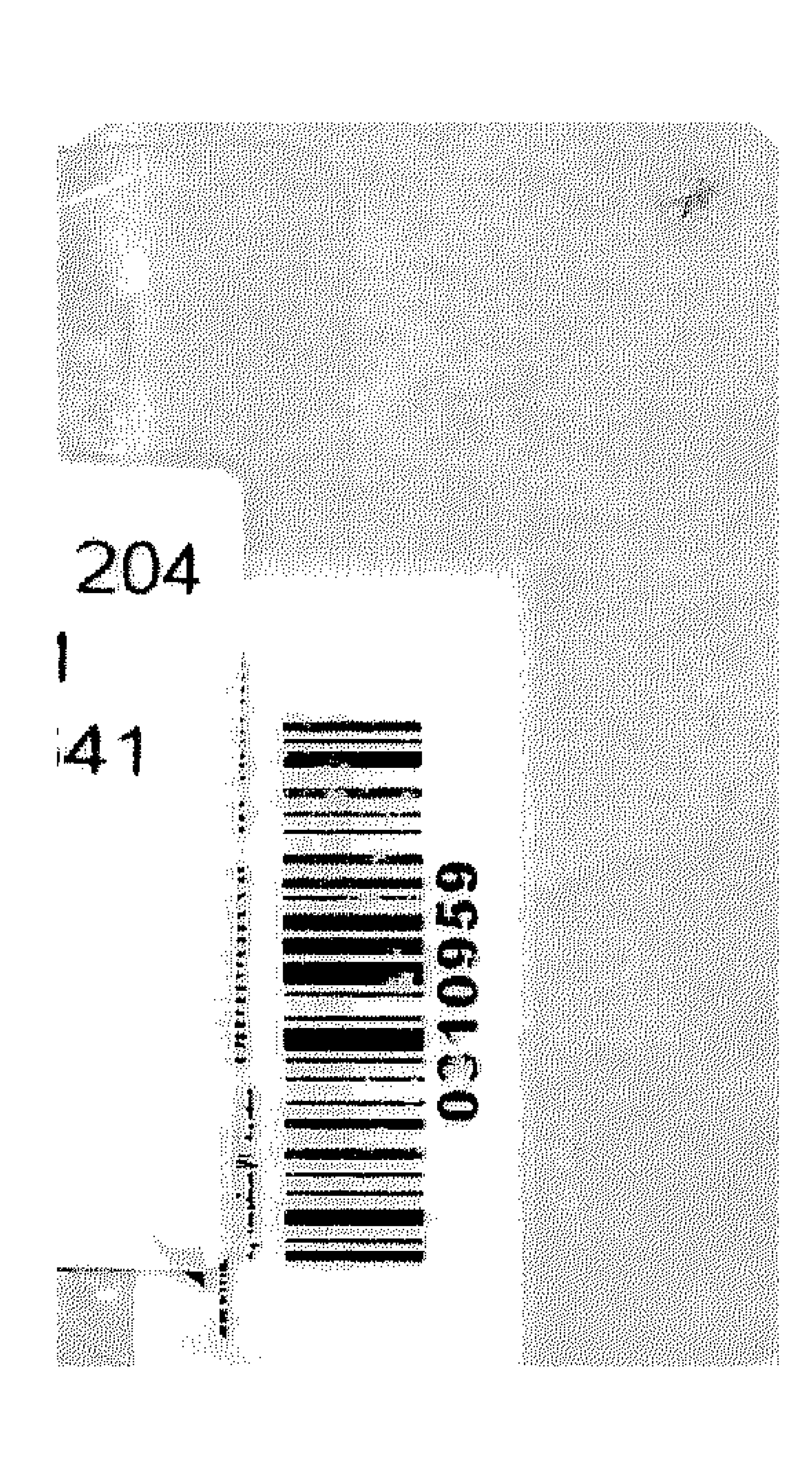
١٣ — ولاية الله والطريق إليها للامام الشوكانى . تقديم ودراسة وتحقيق
دار الكتب الأثرية . شارع الجمهورية .

١٤ — ياسر . قصة فدائية للأطفال .

دار النهضة العربية

رقم الإيداع ٢٤٨٤ / ١٩٨٤
الترقيم الدولى ٨ — ١٠٤ — ٠٤ — ٩٧٧




204
541
0310959